14 me Année No. 701

Lundi — 9 — 12 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ محرم سنة ١٣٦٦ — ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الأمثال العـــالمية

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأستاذ عبد القادر الكرمانى بحلب خطاباً ينبئنى فيه « أنه يضع كتاباً عن الأمثال العالمية بلغة الضاد ، وينقل إلى لغتنا العزيزة ما وصلت إليـه يده من أمثال الأمم الأخرى على اختلاف أجناسها وأصقاعها ، وقد أرهف نفسه للسؤال عن ناحية هامة فى المثل وهى : هل وضع الأمثال مقصور على الأسلاف فقط؟ وهل لنا معشر الخلف أن نضع أمثالا أسوة بمن سبقونا ؟ وإذا جاز وضع الأمثال لناوضربها فى مختلف شئون الحياة فما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فيما نود أن نتخذه مثلا ؟ وإذا كان وضع المثل محصوراً فيمن تقدمونا فلم هذا الحصر وما هو الباعث له ؟ وهل اتفقت الأمم جمعاء على السير فى منهاج واحد ؟ أم أن هناك اختلافاً بين شعوب الأرض ؟ ... »

وأقول : إن مكان هذا الكتاب الذى يشتغل به الأستاذ الكرمانى لا يزال ناقصاً فى اللغة العربية ؛ لأنها اللغة الوحيدة فيما نعلم بين لغات الحضارة التى خلت من كتاب جامع لأمثال الأمم أو للأمثال العالمية على حسب موضوعاتها أو على حسب أقوامها ، وهو الموضوع الذى جمعت فيه باللغات الأوربية أسفار ضخام تجمع تلك الأمثال بترتيب أغراضها تارة وبترتيب أقوامها تارة أخرى

وأحسب أن اللغة العربية أحوج إلى هذه المجموعة من اللغات الأوربية ، لأن العرب «سلفيون» يكثرون الرجوع إلى الأمثال ، ولأن الناقلين الأوربيين يخطئون فيما ينقلونه من أمثالهم وينسبونه إلى الأمم الشرقية الأخرى لاشتراك هذه الأمم جميعاً فى الدين وفى أحكام آدابه التى تضرب بها الأمثال . ويبلغ من خطئهم فى هذا أننا رأينا آيات قرآنية وأحاديث نبوية منسوبة إلى الغرب أو إلى الهند لأنها وردت فى أقوال الحكماء والمتصوفة من أبناء الأمم الهندية أو الفارسية ، فإذا اهتم أديب عربى بجمع الأمثال العالمية فهو أحق الناس بتصحيح هذه الأخطاء وتمييز الأمثال الشرقية على حسب الأجناس واللغات . ولا شبهة فى لزوم هذا التمييز ، لأن الخلط بين أمثال العرب والفرس والهند مخالف للواقع من جهة ، ومضلل للباحث فى مقابلات الأمثال من جهة أخرى ؛ إذ لا يخفى أن مسألة الأمثال مسألة « اثنولوجية » لها دلالتها على أطوار الأمم وعاداتها وبواعث تفكيرها ووسائل تعبيرها . فلا يشعر الفارسى بالحقيقة الواحدة كما يشعر بها العربى فى البادية أو الحاضرة ، ولا تقع المقارنة بين الحقيقة كما يعبر عنها المثل العربى والحقيقة كما يعبر عنها المثل الفارسى إلا ظهرت من هذه المقارنة خصائص الأمتين وعادات كلتيهما فى المعيشة وأسلوبهما فى الملاحظة والتعبير ، وقد يكون للمثلين شاهد واحد أو موضع استشهاد

واحد ، ولكن الاختلاف بين الشاهدين هو الذي يدلنا على اختلاف الخصائص والعادات ويفيدنا تلك الفائدة الأثنولوجية التي يبحث عنها علماء الأجناس والسلالات

فكتاب الأستاذ الكرمانى منتظر ومطلوب ومفيد ، ونرجو له التوفيق فى إتمامه على الوجه المنتظر المطلوب الذى تتحقق به فائدة اللغة العربية وفائدة المعرفة الإنسانية على التعميم .

أما سؤال الأستاذ عن حق الخلف فى وضع الأمثال ، فهو كحق السلف فى اعتقادنا بلا اختلاف ، لأن أبناء الجيل الحاضر سلف بالنسبة إلى الأجيال التى تعقبهم وتقتبس من حكمتهم وتجربتهم وتروى ما بقى من آثارهم وأخبارهم ، فإذا تاق الأعقاب عنهم كلمات صالحة للرواية والاستشهاد ، ودارت هذه الكلمات دورتها على الألسنة كما دارت من قبلها كلمات آبائنا وأجدادنا ، فتلك هى الأمثال يضربها أبناء جيل لأبناء الأجيال ، وذلك هو الحق الوحيد الذى يستند إليه واضع الأمثال .

ولكننى أحسب الأستاذ يسأل عن الأمثال التى يضعها أبناء الجيل الحاضر لأبناء الجيل الحاضر ، ويرى لها موقعاً مختلفاً من موقع الأمثال الموروثة عن الأجيال الغابرة ، وله الحق فيما يراه .

فالأمثال « سلفية » فى طبيعتها ودلالتها ، وقيمة هذه الدلالة آتية من اعتقاد الناس أنها دالة على إجماع التجارب واتفاق العبر بين الغابرين والحاضرين . فإذا حدثت الحادثة اليوم وسمعنا مثلا يلخص لنا الحكم على حادثة مثلها وقعت قبل مئات السنين ونظر الناس إليها يومئذ كما ننظر إليها اليوم ، فهذه هى عبرة الأمثال ، وهذه هى دلالتها لمن يروونها ويستشهدون بها فى مواقعها ، وهذه هى قوة الإقناع التى تستفاد من تجارب السلف ويتخذها الخلف رائداً له فى حوادث الحياة .

لهذا ترجح أمثال الجيل الغابر على أمثال الجيل الحاضر ، فهى حجة القدم واتفاق التجربة دون غيرها ، وهى حجة لا تتاح لأقوال المعاصرين فى زمانهم إلا إذا طال بها العهد حتى توافت عليها العبر وتكررت عليها الشواهد وصح بها الاستدلال

لكن الثقة بالسلف ليست هى الثقة الوحيدة فى مقام الاستشهاد ، ونحن نؤكد الرأى بإسناده إلى زعيم موثوق بعقله وصدقه كما نؤكده بالإسناد إلى الآباء والأجداد .

ولهذا يجوز أن يصدر المثل من الجيل الحاضر للجيل الحاضر ، ويجوز أن ينهض الزعيم الموقر بين قومه فيتخذ له شعاراً يجرى بينهم مجرى الأمثال ويكررونه فى مقام الاستشهاد والاستدلال .

ولا شروط لشيوع المثل تكفل له البقاء على سبيل الحتم والإلزام ، فإن شيوع المثل لا يتأتى بإرادة واضعه ولا بإرادة مروجيه ، وإنما يتأتى بشيوع الحاجة إلى تكراره ارتجالا بغير روية ولا اتفاق ، فتسقط أقوال كثيرة مع بلاغتها ، لأنها لا تخطر على البال فى أعم المناسبات وأدعاها إلى الاعتبار ، وتسرى أقوال كثيرة مع بساطتها لأنها تخطر على البال فى كل مناسبة وتعبر عن « الحالة » فى نفوس قائليها والمستشهدين بها .

ولكن الملحوظ فى جميع الأمثال السارية أنها تجمع بين السهولة والبساطة ودواعى الشعور المشترك بين العديد الأكبر من جملة الطوائف والطبقات ، وإن الحكم للمضادفة فيها أقوى من الحكم للموازنة والاختيار .

وقد تنسب الكلمة إلى زعيم فتشيع لأنها نسبت إليه وهو لم يفه بها ولم يقصد بها قط ما قصده المرددون والمستشهدون ، ومن أمثلة ذلك أن عامة المصريين يقولون فى بعض المناسبات : سعد باشا قال : « مفيش فايدة .. »

وسعد باشا لم يقل هذه الكلمة فى المناسبات التى يريدونها ، وإنما قالها عدلى باشا بالإنجليزية على مسمع من سعد باشا واللورد ملنر فغضب منها سعد وأنكر أن يعدل المتكلمون عن اللغة التى كانوا يتكلمونها إلى اللغة الإنجليزية ليقولوا بها عن مناقشته ما معناه بالعامية : « مفيش فائدة »

إلا أن الكلمة كان لها شأن خطير فى السياسة المصرية ، وعرف عامة المصريين ما كان لها من الأثر فى علاقات الزعماء والعلاقات بين مصر والدولة البريطانية ، ونسوا مناسبتها ولم يذكروا إلا كلمة « مفيش فايدة »... وإن سعد باشا قالها ونقض يديه من المحادثات الملتهبة فى ذلك الحين ، فسارت مثلا لأنها سجلت « حالة » من حالات زعيم كبير ، وهى حالة قابلة للتكرار فى كل يوم ، فليس أكثر من الحالات التى تنقض منها اليدان ويرفضها المرء مغضباً وهو يقول : « مفيش فايدة ! »

على أن الأجيال تختلف فى السليقة « المثلية » أو فى السليقة

إلى وزارة المعارف :

وعلى هذا فنحن ندور . . .

للأســـتاذ كامل السيد شاهين

— ٢ —

فإذا طرّحنا النظر فى منهج التعليم الابتدائى ألفيناه مؤلفاً من : قواعد ، وإنشاء ، ومحفوظات ، وإملاء ، وخط . وبنظرة فاحصة فى كل فرع من هذه ، تنثال علينا مثالب لا نجد إلى ردها سبيلا . ولْنتعقبها فرعاً فرعاً لعلنا نجد من تكشيف هذه العيوب سبيلا إلى الإصلاح ، وعوناً على العلاج

فأما القواعد ، فقد وضعت الوزارة بين أيدى تلاميذ السنة النهائية كتاباً ضاق غلافه — على سمنه — بأسماء المؤلفين والمراجعين ، ومع هذا فقد خرج الكتاب غير مناسب لروح التطور التربيى ، فهو يعقد الباب بعنوان ، ثم يجرى وراء الأمثلة فيجمعها من كل طريق ، مثال من الصحراء ، وآخر من السماء ، وثالث من الحيوان ، غير مراع نسقاً خاصاً ، ولا حافل بانسجام ، ثم يناقش الأمثلة أو بعضها ويخلص إلى القاعدة

وقد كان هذا كافياً وجيلا فى وقت ما ، أما اليوم فلا كفاية فيه ولا جمال ، ذلك بأن التلميذ يتلقى القواعد تلقياً جافاً لا رَوْح فيه فيمجُّها ويملها ، وقد درسنا ولا زال المربون يدرسون أن التربية الصحيحة تُملى أن يكون درس القواعد بسبب من الإنشاء وأن تكوّن الأمثلة مرتبطة موضوعاً ، أو شبه موضوع ، يقوم فى ذهن التلميذ ويتحيز ، ويدرك منه أن هناك رباطاً وثيقاً بين هذه وتلك ، ويفيد من ذلك ترابط المعلومات وتغذية ملكة الإنشاء وطرافة العرض ، ومن ثم فنستطيع أن نقول إن الأسلوب الذى التى تنشئ الأمثال وتجريها على الأفواه

وربما كان العصر الحاضر من أقل العصور قدرة على تسيير المثل بعد إنشائه ، وأقلها قدرة على إنشائه قبل تسييره

وترجع هذه الخاصة فيه إلى سببين : أحدهما أن توقيز السلف فيه ضعيف ، والآخر أنه عصر السرعة — بل العجلة — فلا يصلح من ثم لتدعيم الكلام بالشواهد والأمثال

فأما ضعف التوقير فى عصرنا لكل قديم ، فهو من لوازم الجوح الذى اقترن بالحرية « الشخصية » وخلق لكل فرد من الأفراد اعتداداً بنفسه يخرجه أحياناً عن سلطان الجماعة أو سلطان القبيلة كما عرفوه ووقروه فى الزمن القديم ، ويصرفه عن التماس الشواهد مما قاله الأقدمون ، لأنه لا يتوخى فى أعماله أن توافق آراء الأقدمين ، بل لعله يفخر أحياناً بتعمد المخالفة والشذوذ اغتراراً منه بمعنى المخالفة والشذوذ ، وهو القدرة على التحدى والاستقلال

وأما علاقة السرعة بالأمثال ، فهى ظاهرة من الفرق بين طبيعة الأحاديث التى يسترسل بها المتحدث إلى سوق الشواهد والأمثال ، وبين طبيعة الأحاديث التى يخطفها المتحدث خطفاً ولا يكاد يبدأها حتى ينتقل منها إلى موضوع منقطع عنها ، فإن الجالس فى المنظرة ليقضى البهرة كلها فى قعدة واحدة يستطرد إلى المثل تارة وإلى العبرة تارة أخرى فلا تقع عند السامع موقع الاستغراب ، بل موقع الانتظار والارتقاب

ولكنه إذا جلس فى مرقص الجازبند أو فى رحلة السيارة أو فى القهوة التى تموج بالداخلين والخارجين فآخر ما يخطر على البال أنه يسترسل بالحديث إلى سوق الشواهد وضرب الأمثال .

وتظهر علاقة السرعة بالأمثال فى معرض آخر من معارض العصر الحاضر ، وهو معرض التفرقة بين مناسبات الكلام فى محافل الوعظ والتعليم ومناسبات الكلام فى الصحف والمجالس النيابية وأحاديث المذياع وروايات المسارح والصور المتحركة . فهذه كلها تتجدد لمحة بعد لمحة ولا يأتى اللاحق منها حتى يرخى ذيول النسيان على ما سبق منذ لحظات أو منذ ساعات أو منذ أيام ، وليست معارض الحديث بالأمس على هذا المنوال ، لأنها كانت تتكرر بين الحين والحين ويتسع لها مقام التأمل والاستقرار والترديد .

ولعمرى إنه لسبب آخر من أسباب العناية بجمع الأمثال وتقريبها إلى أبناء الجيل ؛ لأن هذه العناية تستنقذ أثراً من الآثار الماضية يخشى عليه من طيات النسيان الفضفاضة ، وتلقن أبناء الجيل « حالات نفسية » قد تؤدى بهذه العجلة الخاطفة إلى شىء من التؤدة والأناة .

عباس محمود العقاد

اتخذه الكتاب أسلوب لابد الحاجة ، ولايسير طويلا فى طريق التربية الحديثة ، ولا يساعد على تغذية وتنمية ملكة الإنشاء ، ويضرب فى الجفاف والعقم إلى حد بعيد .

فإذا ما ضربنا عن الأسلوب صفحاً ، ورحنا نبحث فى ترتيب المعلومات وتبويبها ، ألفينا الجناية الكبرى التى لا تخص مرحلة دون مرحلة ولا جيلا دون جيل — ذلك بأن القوم فى الأزهر ودار العلوم داروا حول كتاب واحد لا يجدون عنه حِوَلاً ، هو ألفية ابن مالك ، فهم يدرسونه بشرح ابن عقيل ، ثم بأوضح المسالك ، ثم بالأشمونى ؛ ومن ثم نجد أن طابعه قد مثل فى أذهانهم وتبويبه وترتيبه قد استقر فيها ، فتجدهم لا يسيغون طريقة المفصل للزمخشرى ، ولا ينظرون فى كافية ابن الحاجب ، وأهملوا الكتب والأصول شر إهمال ، فلم يدرسوا شيئاً قط من كتاب سيبويه ، ولم يعرفوا شيئاً قط عن مقتضب المبرد ، وكانت عقبى ذلك أن اتجهوا اتجاهاً خاصاً هو اتجاه ابن مالك فى بعض كتبه ، وفاتهم بهذا الإهمال أن يوازنوا بين اتجاهه واتجاه غيره من النحاة فى الترتيب والتبويب ، فذلك عسىٰ أن يقودهم إلى اختيار أى السُّبل أهدى وأقوم

وقد جنت هذه المتابعة على تلاميذنا شر جناية ، لأن الأساتذة المؤلفين لم يكلفوا أنفسهم رهقاً ، فلم يبحثوا عن طريق غير الطريق التى رسمها لهم ابن مالك ، ومن يدرى فلعلهم لا يعرفون أن هناك سبيلا آخر يصل بهم إلى هذه الغاية .

ابن مالك — ومن ورائه مؤلفونا الفضلاء — يرسم كتابه على : الكلام وما يتألف منه — ثم المعرب والمبنى — ثم النكرة والمعرفة ، ثم المرفوعات فالمنصوبات فالمجرورات — ثم التوابع .

مسلك الرجل فى الكتاب مسلك من ينظر إلى الصنعة النحوية فقط ، مسلك من يهمه آخر الكلمة رُفع أو نُصب أو جُر ، ولا يهمه تناسق المعانى ، أو افتراقها ، وتنافرها أو انسجامها . حسبه أن هذا الحرف ينصب فيجب أن يكون فى باب المنصوبات وأن هذا الحرف يجر ، فيجر إلى باب المخفوض ، وهلم خلطاً ومزجاً والشر فى هذا أكبر من أن يُهوَّن ، فالتلميذ يعرف أن « لن » تنصب ، ويعرف أن « لم » تجزم ويعرف أن « ليس » تنصب الخبر ، وأن « ما » فى النفى لا تعمل شيئاً ، وكذلك « لا » ، ولكنه إذا طُلب إليه نفى جملة إسمية أو فعلية ، دار بين هذه جميعها وحار ، أينفى بلن ، أم بلم ... الخ . والجناية على المعانى جد عظيمة ولا تعدلها بحال الجناية على الضبط ، فالذى يقول : لم يتفق المفاوضون ، أخف جُرماً من الذى يقول لم المفاوضون متفقون ، وإذن فلا بد أن تكون المعانى مساوقة للاعراب إسماً إصبعا فيعقد باب للنفى تجمع فيه أدواته وتبين خواص كل أداة ، وفى ذلك من اللذة والفائدة ما فيه . ولكن طريقة ابن مالك ومتابعيه لا تعبأ بهذا ، بل ترى (لم) فى صندوق الجوازم لأنها تجزم ، و(لن) فى صندوق النواصب لأنها تنصب ، و(ليس) فى صندوق النواسخ ناصبة الخبر ، ولا تعرض لما ، لماذا ؟ لأنها مسكينة فارغة ، متصملكة لا عمل لها فى اللفظ ، أما أثرها فى المعنى فليس للقوم على بال ، وكذلك « لا » مستضعفة فارغة فلا ذكر لها ولا وجود !

والجناية فى التوكيد مثلها فى النفى ؛ « فإن — المفعول المطلق المؤكد — ونون التوكيد — والتوكيد المعنوى » كلها مبثوثة فى الكتاب ولكنها مختصمة متفرقة أبدى سبأ ، كل منها فى باب ، فتوكيد الجملة الإسمية تجده فى الحروف النواسخ ، وتوكيد الفعل بالإسم تجده فى المفعول المطلق ، وتوكيد الفعل بالحروف تجده فى بناء المضارع وبناء الأمر ، وتوكيد الإسم بالإسم تجده فى التوابع ، فإذا رُمت أن يؤكد لك التلميذ جملة إسمية فقد رميت به فى متاهة لأنك بذكر لفظ « التوكيد » قد صرفت ذهنه كله إلى الباب المعقود للتوكيد ، وليس فيه إلا الألفاظ التوابع وهى من الضآلة فى العربية ما هى .

تلك جناية اللافتة السقيمة إلى آخر الكلمة ، تفرق ما بين اللُّفق ولفقه ، وتصيب عقل الوليد بالالتواء والتشويش .

لابد أن نعقد أبواب النحو على طريقة أخرى تتوخى فيها المعانى ، فنعقد باباً للتوكيد ، وباباً للنفى ، وباباً للربط ، وباباً للطلب . أمره . ونهيه . واستفهامه . ودعائه . وتمنيه ، وهلم جرا ؛ فذلك أعود بالفائدة وأقرب إلى أن تكون الدراسة ممتعة شائقة غير جافة غثة باردة تعلق نظر الغلام بآخر الكلمة لا يعدوه .

وقد رأيت أن متابعة طريقة ابن مالك قد عادت على المؤلفين بوضع أبواب لا فائدة من دراستها فى المرحلة الابتدائية ، ذلك

بأن تخطئ الخطأ إنما هو الإعراب ، أما المبنى فهو بعيد عن مجال الخطأ كل البعد ، وقد جاءت الحروف مبنية ، والأفعال كذلك ، ونصب المضارع وجزمه سهل التدبير ، فإن أدواتهما معدودة محدودة ، ومدار الخطأ إنما هو فى معرب الأسماء التى يتلون آخرها بالضم والكسر والفتح ، والذى يتولى كبر الضلال من هذه الأحوال إنما هو الفتح ، فأما الضم فإنه يدور حول محور واحد وهو الإسناد ، فإسناد الإسم أو الإسناد إليه مقتض رفعه ، لايخرجه عن ذلك إلا ناسخ ، وأما الجر فإنه يكون بحرف أو إضافة — فإذا حُدِّدَ الإسم المرفوع وذلك هين ، والمجرور وهو أهون ، فما بقى من اسم فهو منصوب لايكون إلا كذلك ، فأما أنه منصوب على المفعولية أو الحالية ، فذلك مما لايعنى مادمت أحرص على النطق السليم الصحيح ، فأنا أبيح التلميذ أن ينصب الإسم متى ظهر أنه ليس مسنداً إليه ولا مسندا ، ولا مستحقاً للجر بالإضافة أو الحرف ، وليس فى الناس من يقول إن التلميذ لا يفهم معنى « عاد التلميذ مصاباً » حتى يعرف أن مصابا حال ، فحسبه إذن أن يقول إنها فضلة . وبذلك وحده نكون قد اختصرنا ثلث النحو ، ونستطيع أن نستغل القرائح فى نواحى أخر أجدى وأعود بالفائدة . وبذلك نكون قد خففنا من هول هذا الشبح المفزع الذى يتراءى للتلميذ فى يقظته ويروعه فى منامه ، وهو شبح القواعد .

ولست أزعم أننى مبدع هذا النسق من الدراسة والاختصار فقد سبق إليه الأستاذ ابراهيم مصطفى فى كتابه « إحياء النحو » ولكنه واضيعتاه لم يجر عليه فى كتب صغار التلاميذ التى هو أحدُ أحدَ عشر كوكباً رَقَّشوا غلافها بأعلامهم الكريمة !

وهنا نترك أمر التبويب والترتيب والاختصار والحشو ، إلى أمر آخر أقذى فى العين ، وأشجى للنفس ، فإن الكتاب كثيرا ما يغفل عن المقرر إلى أى حد وقف ، وعن التلميذ إلى أى مدى درس ، فيطلب منه أعراب شىء ما عرفه بعد ، فيقف التلميذ حائرا مبهوتا دهشا ، أو يجتازه على ضرب من الحدس والتخمين ، وما هو من ذاك إلا هذا ، فأما المعلم فإنه ببيت — من رحمته بتلميذه وإشفاقه عليه — قلق الجنبين غير مُوَسَّد ! .

خذ مثلا : مطالبته فى آخر تمرين على الضمائر بإعراب الجملة « إننا سلمنا على القادمين » على حين أن التلميذ لم يمر بعد أن من الخبر ما هو جملة ، وبينه وبين معرفة ذلك مدى طويل ، فالله أنشدكم ماذا يقول المدرس ؟ وكيف يتخلص من أسئلة تصوب إليه فى حرص وقوة ؟ وكيف فات ذلك المؤلفين الستة والمراجعين السبعة ؟

وخذ مثلا آخر : مطالبته بإعراب : « أمسى القانع وهو مغتبط » آخر باب الحال ، وأمسى هنا دائرة بين التمام والجملة بعدها حال ، أو النقصان والواو زائدة كما قالوا فى « فأمسى وهو عريان » فأى البابين أفتح على التلميذ الغض ، باب تمام أمسى ، وهو لا يطيقه ، أم باب زيادة الواو ، وهو لا يسيغه ؟ على أن الواضع — عفا الله عنه — إنما قصد إلى الأول لأنه ذيّل بهذا المثال باب الحال . واللجوء إليه يصدم عقول الأطفال الصدمة المضللة بين الناقص والتام ، ويفتح عليهم بابا من التخليط ليس له رتاج !

وبينما تجد الكتاب فى تطبيقاته يحاور التلميذ محاورة الملغز المحاجى ، تجده يقف عند بعض الأمثلة فى بابين متباعدين لا يعدوهما ، فهو يمثل فى باب الحال ، لشبه الجملة بقوله « وزنت القطن فى غرارة » فإذا عددت خمسة أبواب بعدها تقع فى نحو خمس عشرة ورقة ، وجدته يمثل فى باب النعت ، لشبه الجملة بقوله : « رأيت قطنا فى غرارة » يا لله ، أضاق الأفق عن كل شىء إلا عن القطن والغرارة ، تحيرهما بين باب الحال وباب النعت ؟ ولو أن الواضع أجرى موازنة بين المثالين فى البابين ، لقلنا حكمة حكيمة ، ولكن الذى اضطره إلى ذلك الكسل العقلى ، ولا نقول الإجداب العقلى ، فذلك ما لا نرضاه وصفاً للجلة الفضلاء .

وبعد : أفأنتم مصرون بعدُ على أن تذوق غصص هذا الكتاب وهذا المنهج ؟ إن كان ذلك فحسبكم الله على ما فرطتم فى جنب التلاميذ، والأساتيذ ! ولى عودة فى نقد المطالعة والمحفوظات إذا شاء الله .

فاضل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

تجار الأدب . . .

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لا نقصد أولئك الذين يبيعون الكتب ناشرين أو وراقين ، بل نعنى أولئك الذين يتصدون للآداب والعلوم والفنون والفلسفة فيؤلفون فيها ، ويطلعون على الجمهور بثمرة قرائحهم ، لا يخدمون بذلك أدباً ولا يفيدون علماً ، بل يطلبون ربحا ويطمعون فى ثروة فجعلوا من الأدب تجارة ، وأنزلوا العلم منزلة السلع الرخيصة .

ومن سوء الحظ أن هذه الظاهرة صحبت الحرب الأخيرة منذ بدايتها ، إذ انقطعت أسباب الحصول على الورق ، وتسنى لهؤلاء القوم بأساليب لا تمت إلى الشرف بصلة أن يحصلوا على الورق اللازم للطبع ، ووجدوا المطابع متعطشة فدفعوا إليها بهذه الثمار الفجة ، وخرجت إلى السوق هذه الكتب العجيبة ، ليس فيها أثر من جهد أو بارقة من تفكير ، وإنما هى ألفاظ مرصوصة يسود بها أصحابها صحائف الورق ، ويملأون دفتى الكتب .

وكيف تريد أن يكون الأمر غير ذلك ، وبعض هذه الطائفة يخرج فى كل شهر كتاباً ، لو أنفق فيه عالم يمتاز بالضمير ويتصف بالتثبت أعواماً لوجد أنه فى حاجة إلى مزيد من الأعوام .

سئل أحد الناشرين : كيف تطبع لفلان ؟ فقال : « إن الجمهور يقبل عليها كما يقبل على الفول السودانى » وهو تشبيه يقصد به إلى المدح والذم على السواء . ولعله كان يرمى إلى التحقير فما عهدنا أن الكتب توصف بالتشبيهات المادية القليلة الشأن .

ولقد مضى زمن الحرب الذى انقلبت فيه الأوضاع ، فعادت سوق الأدب إلى سابق حريتها ، ووجد الفضلاء سبيلهم إلى المطابع بالطرق الكريمة التى لا تنافى الذوق أو الشرف ، فانكشف أمر أولئك القوم وباءت كتبهم بالخسران ، وزحمت رفوف الوراقين وأكبر الظن أن مصيرها سوف يكون إلى باعة « الفول السودانى » يلفون فيها بضاعتهم فى « القراطيس » .

ولعلك تعجب معى وتسأل عن السر فى بضاعة القوم كيف يتسنى لهم التأليف فى كل شهر ، وهل اتسعت مداركهم ، وسمت عقولهم ، وارتقى تفكيرهم إلى الحد الذى يسمح لهم بتسويد صحائف كتاب جديد كلما طلع الهلال الجديد .

إنهم يفعلون أحد أمرين : الأول السطو على بعض الكتب الأجنبية ، ثم نقل فكرتها نقلاً خاطئا ، ثم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم زوراً وبهتاناً . وهذه المسألة تعرف بالسرقة الأدبية . وهؤلاء هم لصوص الأدب . يريدون أن يقول الناس عنهم إنهم من كبار المؤلفين الذين يُرجع إليهم ، وهى نزعة تخلو من الأمانة على كلا الحالين ، فهم غير أمناء فى نسبة موضوع إلى أنفسهم وحقيقته لغيرهم ، وغير أمناء فى نقل الفكر ، ولو كانوا قادرين على النقل وحسن التعريب لأعلنوا ذلك .

والأمر الثانى أن يتجهوا إلى الترجمة الصريحة ، وقد زادت هذه الحركة فى الأيام الأخيرة ولكننا نرى المتصدين لها ، أو أغلبهم ، لا يحسنون التصرف ولا يجيدون التعريب ، لقلة خبرتهم ، ونقص علمهم بالموضوع ، وعجزهم فى كلتا اللغتين الأجنبية التى ينقلون عنها ، والعربية التى ينقلون إليها .

ولكنه بريق الكسب يستهوى هؤلاء وأولئك فيدفعهم إلى التسرع ، والسرعة كما قال الزيات فى مطلع كتابه « دفاع عن البلاغة » إحدى آفاتها . وهى لعمرى إن كانت مزية الحضارة الحديثة فهى آفة الإنتاج الجيد فى كل شىء ، مادياً كان أم معنوياً ، وهى فى الآثار العلمية والأدبية أخطر .

كنا فى صدر الشباب نحضر العلم فى الجامعة المصرية على أستاذنا الدكتور منصور فهمى ، ومن أقواله المأثورة التى لا يزال طلابه يحفظونها عنه ويروونها فى المناسبات « اطلبوا العلم للعلم » وكان بعضنا يتحدث إليه فى وجوب السعى لدى أولى الأمر فى الحكومة ليفسحوا المجال للخريجين فى الجامعة والحاصلين على إجازة كلية الآداب فى وظائف الدولة ، فكان يرد عليهم بقولته المأثورة « اطلبوا العلم للعلم » . وما كنا فى ذلك الوقت نحسن تفسير هذا الكلام أو نفهم مراميه البعيدة . هل يطلب العلم للعلم وهل يفضل أحدنا العلم على المال ؟ وهل يغنى العلم وحده فى سد مطالب الحياة ؟ .

لا نقول إن العلم سبيل الحصول على المال ، ولو عكسنا القضية لصح المقال ، إذ الواقع من التاريخ أن المال كان غذاء العلم ، ولقد

عاش العلماء فى قديم الزمان على بذل الملوك والأمراء والأغنياء وما كانوا ينفقونه عن سعة فى سبيل العلم ، وأوقاف الأغنياء المحبوسة على مصلحة العلم والعلماء خير شاهد على ذلك . وكان العلماء من جهتهم زاهدين لا يحفلون بملبس أو مشرب أو مأكل لأن همهم كله منصرف إلى طلب العلم ولذتهم فى تحصيله . وكانت أيديهم تزخر فى بعض الأحيان بالمال فينفقونه فى أوجه الخير والبر .

الخلاف إذن فى الغاية ، هل العلم غاية فى ذاته تطلب لذاتها أم وسيلة لغاية أخرى هى المال ؟

ولا مراء فى أن التضحية بالعلم والأدب فى سبيل الأهداف المادية هو الإنحطاط والإسفاف ، ومَن كانت غايته الثروة فليطلبها فى تجارة السلع المختلفة فهى أكثر للمال إدراراً . ولقد حكى أرسطو فى كتاب السياسة أن أحد فلاسفة اليونان الأقدمين عيّره القوم بقلة ذات اليد والانصراف عن الدنيا ، فاعتزم فى نفسه أمراً ، فذهب فى الشتاء إلى أصحاب المعاصر واستأجرها منهم بأجر زهيد ، فقالوا : هذا مجنون ماذا يفعل بالمعاصر فى هذا الوقت وليس لها عمل ؟ فلما جاء الصيف ، وأراد الزراع عصر العنب لاستخراج النبيذ ، طلب منهم أجرة مضاعفة ، ولم يسمهم إلا الدفع لأنه كان قد احتكر جميع المعاصر . وأثرى من هذا الأمر ثروة كبيرة ، فأثبت للقوم أن الفلاسفة لو أرادوا المال لحصلوا عليه ، ولكن بغير طريق الفلسفة !

والسؤال الآن : هل نترك هذه الطائفة أحراراً فى أعمالهم يسيئون إلى العلم والأدب ، ويفسدون الذوق ، ويُشيعون الخطأ ، ويذيعون الباطل ، أم يوكل أمر الكتب إلى هيئة تميز بين الغث والسمين والصحيح والفاسد فلا تجيز إلا الصالح ؟

يقول قوم نحن فى عصر الديمقراطية وأساسها الحرية وعلى الخصوص حرية الرأى والفكر ، فكيف تريد أن تحد من هذه الحرية التى ناضلت البشرية فى سبيلها أجيالاً طويلة ؟ إنكم لو فعلتم ذلك ، لرددتم الإنسانية إلى أظلم عصورها وأحلك أزمنتها ، يوم كان عقاب الأحرار أن تحرق كتبهم ويلقى أصحابها فى غياهب السجون .

والقياس هنا مع الفارق ، لأن فلاسفة القرون الوسطى كانوا يطلعون على الناس بثمرة أفكار جديدة ينتقدون فيها آراء الشائعة من قديم الزمان ، أما مؤلفو مصر فى هذا الزمان ، فإنهم لا يفكرون تفكيرا جديداً ، ولا ينتقدون قديما ، ولا ينتقدون كشوفاً حديثة ، بل يمسخون كتب غيرهم ويغيرون عليها .

مهما يكن من شىء ، فأنا من أنصار الديمقراطية والحرية ، ولا أحب أن أحجر على فكر الناس ، ولا على الطريقة التى يذيعون بها أفكارهم ، ولكن من واجب الناقدين أن يبصروا الجمهور بحقيقة ما يظهر من تآليف ، وقد كثر عندنا المتعلمون الذين يحسنون تقدير المؤلفين ... فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

أحمد فؤاد الأهوانى

جامعة فاروق الأول

كلية الطب

إعلان

تعلن كلية الطب بجامعة فاروق الاول عن وجود وظيفة معيد بالدرجة السادسة خالية بقسم الطب الشرعى بالكلية بالشروط الموضحة وتقدم الطلبات على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح برسم عميد كلية الطب باسكندرية فى ميعاد غايته ٣١ / ١٢ / ١٩٤٦ . ومن يكن موظفا بإحدى المصالح الحكومية فيقدمه عن طريق مصلحته .

١ — يشترط أن يكون حاصلا على بكالوريوس الطب والجراحة .

٢ — أن يكون سبق اشتغل بوظيفة طبيب امتياز بمستشفيات الحكومة .

٦٤٢٣

لمحات قضائية
فى قتل عثمان

للاستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذه لمحات جديدة فى قتل عثمان من ناحيته القضائية ، تضع الحق فى نصابه ، وتبين هل كان فى قتله قصاص أولا ، وهل سلك المطالبون بدمه الطريق المشروع له أولا ، كما تبين كيف سكتوا عن ذلك بعد أن صار أمر المسلمين بيدهم .

فأما عن الأمر الأول فإن الثائرين على عثمان رأوا أن يأخذوه بحيلة بعد أن طال حصارهم له ، فتسوّروا داره من دار مجاورة لها ، ونزل عليه جماعة منهم فيهم محمد بن أبى بكر ، ولم يكن عنده إلا زوجه نائلة بنت الفرافصة ، لأن أهله ومواليه كانوا يشتغلون بالدفاع عنه أمام باب داره ، فدخل عليه محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته ، فقال له : يا محمد ! والله لو رآك أبوك لساءه مكانك . فتراخت يد محمد حين سمع هذا من عثمان ، وخرج عنه ولم يفعل به شيئاً ، فلما خرج دخل عليه رجلان من الذين تسوّروا داره فقتلاه ثم خرجا .

فصعدت زوجه نائلة بعد خروجهما وصرخت : قتل أمير المؤمنين . فدخل من كان يدافع عنه فوجدوه قد فاضت نفسه ، ولم يمكنهم أن يسألوه عمن قتله .

فانحصر شهود قتله فى زوجه نائلة ، وقد قام على بن أبى طالب بالتحقيق فى ذلك عقب وقوعه ، فذهب إلى نائلة وقال لها : من قتله وأنت كنت معه ؟ فقالت : دخل إليه رجلان ، وقصت خبر محمد بن أبى بكر .

فأحضر على محمداً وسأله عن ذلك ، فلم ينكر محمد ما قالت نائلة ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فلما خاطبنى بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى ، والله ما كان لى فى قتله سبب ، ولقد قتل وأنا لا أعلم قتله .

وقد انتهى تحقيق على فى قتل عثمان بذلك ، فلم تعرف فيه نائلة ممن دخل على عثمان إلا محمد بن أبى بكر ، ولكنها لم تشهد بأنها رأته يقتله ، بل ظاهر شهادتها أن قتله كان بيد ذينك الرجلين اللذين لم تعرفهما ، وحينئذ يكون قاتله مجهولا ، وإذا كان قاتله مجهولا فإنه لا يكون فى قتله قصاص ، بل يكون نصيب قضيته أن تحفظ إلى أن يظهر قاتله ، كما يفعل الآن فى كل جناية لا يوجد شهود لها ، ولا يصح أن يؤخذ محمد بن أبى بكر فيها بشىء ، لأنه عزم ولم يفعل ، والعزم لا يؤاخذ عليه فى الشريعة الإسلامية ولا فى غيرها من الشرائع .

وأما عن الأمر الثانى فإنه لما بويع على بالخلافة طالبه طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن أبى سفيان وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بدم عثمان ، ولكنهم لم يطلبوا ذلك بالطرق السلمية المشروعة فى القضايا ، بل ذهب طلحة والزبير فى عدة من الصحابة إلى على فقالوا له : يا على ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل ، وأحلّوا بأنفسهم .

فقال لهم على : يا إخوتاه ، إنى لست أجهل ما تعلمون ، ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تريدون ؟

قالوا : لا

فقال لهم : إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا ، حتى يهدأ الناس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق ، فاهدؤوا عنى ، وانظروا ماذا يأتيكم ؟ ثم عودوا .

ولا شك أنها كانت فتنة جامحة ، وقد اشترك فيها ألوف من الناس ، فلا بد من التريث فى أمرها كما رأى على ، ولا سيما أنه لم يعلم من قام منهم بقتل عثمان ، حتى يتعين فيه القصاص ، ويؤخذ دمه بدمه ، ثم يحكم على من عداه بقدر تبعته فى تلك الفتنة ، وقد كانوا من الكثرة بحيث يجهل أكثرهم ، ولا يمكن تمييزهم إلا بعد مضى زمن يكفى لتمييزهم .

ولكن هذا لم يرض طلحة ولا الزبير ولا معاوية ولا عائشة ، فنادوا بالحرب ، وانتقل الأمر بذلك من قضية يجب أن تؤخذ

علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٥ —

يعيب علينا بعض الكاتبين أننا نتأنس بما كتبه المتقدمون فى مقالاتنا هذه التى ننقد بها بعض آراء الجامعة فى البلاغة ، ويزعمون أن المتقدمين كانوا أصحاب أذواق مريضة ، ومن العجب أن حجة الكاتب على مايكتب هو ماينقله عن بعض كتابنا المحدثين ، أفيحرم علينا أن نستضىء بامام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجانى ، ويحل له أن يتكىء على مايقوله بعض المحدثين ؟ ليفتنا هؤلاء العلماء الاعلام الذين وجدوا فى أدب عبد القاهر وبلاغته غذاءهم وريهم ، وإذا أنكر منكر على هذا الامام شيئاً فلن يكون هذا الشيء ذوقه . يعرف ذلك العالمون المنصفون ، ثم أنى كنت اعتزمت أن أرد على هذا الذى يجادلنى على صفحات « الرسالة » ، ولم أجد سبيلا أهدى إلى الحق من أن أحتكم إلى عقول قراء « الرسالة » وكثيرون منهم يفهمون هذه المسائل على وجوهها الصحيحة ، وهى بين أيديهم .

وعجيب أن نعيب على المتقدمين جهودهم فى خدمة علوم البلاغة ونحن لم نفعل شيئاً ، لقد ظل علماء البلاغة منذ القرن الثانى للهجرة إلى أوائل القرن السابع وهم ينشئون هذه العلوم وينمونها ، حتى اكتملت قواعدها على يد أبى يعقوب يوسف السكاكى ، فلما جاء من بعدهم من العلماء وقف بهم الاجتهاد ، ولكنهم جاهدوا وجهدوا ، وخدموا هذه العلوم بما لانرى موضعاً لتفصيله الآن ، فماذا صنعنا نحن ؟ ملأنا أذهان التلاميذ ، وغرف الدراسة بالعيب على المتقدمين والنيل منهم ، والطعن فى كفاياتهم ، ولكن من غير أن نبنى قاعدة ، أو نهدم على بصيرة ونصفة قاعدة ، وإنى لأرى خير مايتمثل به فى هذا الموضع المثل العربى : « أسمع جعجعة ولا أرى طحنا » .

وقد سمعت أن فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى يريد أن يرد على مقالاتنا هذه التى يسميها « حركة الرسالة » بكتاب فى البلاغة يخرجه للناس ؛ وإنا منتظرون بفارغ الصبر هذا الكتاب انتظار المتعطش إلى التجديد فى هذه العلوم ، وقد تكون أول من يرفع الصوت فى امتداحه إذا وجدنا فيه مايعدون به ، ولعله لا يكون سورة لهذه الرسائل الصغيرة التى أخرجها الشيخ ونقدنا بعضها ، ثم نعود إلى مناقشته فى بعض مسائل القصر أعاما لما كنا بدأنا به .

٢ — لا يرتضى تعريف العلماء للقصر الاضافى فيطالعنا هو بتعريف آخر دعاه اليه — فيما نظن — رغبته فى أن يربط علوم البلاغة بعلم النفس وهو نوع من التجديد ، ووجد أنسب مايلصقه بالقصر الاضافى هذا الذى يسميه علماء النفس « تداعي المعانى » فما يمنع أن يكون القصر الاضافى نظر فيه إلى هذه الفكرة النفسية ؟ والذى حفظناه عن مشايخنا وقرأناه فى كتب العلماء أن القصر الإضافى يكون حين تتمثل صفتان فى ذهن ، فقد يعتقد اجتماعهما فى موصوف وأنت تريد أن تبين له خطأ هذا الاعتقاد فيكون قصر الافراد ، وقد يعتقد ثبوت احداهما دون الأخرى وأنت تريد أن تعكس عليه اعتقاده فيكون قصر القلب ؛ وقد يحار فى أمر الصفتين فاذا أثبت له إحداهما ونفيت الأخرى كان قصر التعيين ؛ فمدار القصر الاضافى اذن على صفتين أو

بالسلم كما تؤخذ سائر القضايا إلى حرب مفاسدها أكثر مما يرونه مفسدة ، فقابلهم على حرباً بحرب ، وجرى الأمر بينهم فى ذلك إلى أن قتل طلحة والزبير وعلى ، وآل أمر المسلمين بعدهم إلى معاوية .

وأما عن الأمر الثالث ، فإن معاوية لما آل الأمر إليه لم يعد النظر فى قضية عثمان ، ولا شك أنه وجد نفسه أمام جناية قتل لا يعلم القاتل فيها يقين ، فلا يمكنه أن يأخذ أحداً فيها بقصاص ، كما وجد نفسه أمام كلمة قد اجتمعت ، وأرادت أن تنسى الماضى بما له وما عليه ، لتأسو الجروح ، وتقضى على الفتن ، فيجتمع الشمل ، ويعود المسلمون إخواناً ، ويتموا ما بدأ به السلف الصالح من الفتوح ، ويعملوا متعاونين على إعلاء كلمة الإسلام .

فلم يجد معاوية مع هذا إلا أن يترك أيضاً أمر النظر فيمن اشترك فى تلك الفتنة ، حرصاً على جمع الكلمة ، ونزل فى ذلك على مثل ما نزل عليه على ، رضى الله عنهم جميعاً .

عبد المتعال الصعيدى

أكثر في ذهن المخاطب وأمام بصيرته ، وله فيهما اعتقاد ، لكن الشيخ يقول : « وأساس القصر الاضافي مايقرره النفسيون ، ويسمونه تداعي المعاني ، أي أن المعاني يرتبط بعضها ببعض بطريقة الضدية أو المناقضة أو المنافاة أو التلازم أو التكامل . والقصر الاضافي في الكلام قائم على إفراد معنى من المعاني لا على أنه لايوجد سواه في الموصوف ، ولكن على أساس أن تبعد سواه هذا عن تفكير المخاطب ، أي أن هذا النوع حاجز بين الصفة التي تريد إثباتها للمتحدث عنه وبين ما يمكن أن يقفز إلى ذهنه من الصفات عند ذكر هذه الصفة ، فمثلا تقول ما نريد إلا رياضي ، فعند ذكر كلمة رياضي يحدث تداع في المعاني فتجول في الذهن صفات أخرى نحو مهندس . فلكي . موسيقي . مخترع . أديب ولكن إذا قصرت وأتيت بالأسلوب على هذا النحو فقد أبعدت كل هذه الوجوه » وهذا كلام واضح وصريح في أن المقصود من القصر هو إبعاد ماعسى أن يجول بذهن المخاطب من الصفات التي تتصل بهذه الصفة المثبتة ، وكأنه ليس عند المخاطب صفة ينكرها وأخرى يثبتها ، وينبني على هذا — ولا شك — فساد هذا التقسيم الذي ذكره العلماء للقصر الاضافي . وقبل أن نرد على الشيخ نحب أن نذكر له وان يعيب علينا استدلالنا بكلام المتقدمين ، أن الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، تنبه لهذه الفكرة ، ولكنه لم يكن يعرف تداعي المعاني أو تناديها فلم يملأ الجو صياحا وعجيجا ، بل مر يذكر المسألة في بساطة وسهولة فقال في كتابه دلائل الاعجاز «واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو ما زيد الا قائم » أنك اختصصت القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ماعدا القيام عنه ، فانما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو أن يكون جالساً أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم نرد أنك نفيت ماليس من القيام بسبيل إذ لسنا ننفي عنه بقولنا : ماهو إلا قائم أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيراً أو عالما أو جاهلا ، كما أنا إذا قلنا : ماقائم إلا زيد لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نعني ماقائم حيث نحن ويحضرتنا وما أشبه ذلك » ونلاحظ أن الشيخ عبد القاهر كان دقيقا كل الدقة فلم يقل إن هذا في القصر الاضافي ، وانما ساقه على أنه فكرة عامة في القصر ، وأمثلته صالحة لأن تكون قصرا حقيقيا تحقيقيا أو ادعائيا ، وأن تكون للقصر الاضافي ولكن بشرط أن يعين المخاطب في ذهنه المثبت والمنفي . ثم نرد على الأستاذ فنقول له : ارجع إلى شواهدا لقصر الاضافي فسترشدك إلى أن النزاع يكون في شيئين ماثلين في ذهن المخاطب ، ولنسق نحن جملة من الشواهد الفصيحة يقول الله تعالى : إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر . وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير . ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا . لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون . ويقول صلى الله عليه وسلم : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب . إنما أنا قاسم والله يعطي . وهكذا إذا تتبعنا الأمثلة التي صرح فيها بالمثبت والمنفي وجدنا أن كليهما معلوم للمخاطب وله فيه نظرة ، فاذا كان المنفي عاما لم يكن هذا من القصر الاضافي ، ولذلك يقول بعض العلماء إن قول الغطمّش الضبي :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

من القصر الحقيقي ، ولست — والله — أدري من أين جاء للشيخ أن الغرض من القصر الاضافي أن نحول بين ذهن السامع وبين صفات أخر تتوارد عليه لها بهذه الصفة المثبتة صلة ورباط ؟ !

٣ — وقد انتهى العلماء منذ زمن بعيد من تقسيم القصر الاضافي ، ووقفوا عند قصر الافراد والقلب والتعيين باعتبار حال المخاطب في اعتقاد الشركة أو العكس أو التردد ، ولكن الأستاذ يتنبه إلى أن القسمة العقلية كانت تقتضي قسما رابعاً وذلك في حال ما إذا كان المخاطب خالي الذهن ، وينعى على العلماء اهمالهم هذا القسم الرابع يقول « وعلى ذلك يتضح لنا أن اغفال الحالة الرابعة وهي حالة خلو الذهن في باب القصر غير مبني على نظر صحيح » . « فمثلا يجوز لك أن تقول لخالي الذهن عامدا : لا اله إلا الله اعتمادا على ما يقدرونه في علم النفس من أن الخطأ الأول يصعب إصلاحه ، والصورة الأولى يسهل محوها » .

« أما نحن فنقول لهم إن أسلوبكم يقتضي أن ترددوا مواقف المخاطب بين هذه الأحوال الأربعة فلم أغفلتم الحالة الرابعة ؟ » والذي نؤكده أن تقسيم العلماء مبني على نظر صحيح ، وأنه لاحالة

رابعة هناك حتى نتهمهم بأنهم أغفلوها ، وأدنى نظر فى طبيعة القصر الاضافى يرشدنا إلى ذلك فلا يدفعه أن يكون المخاطب عارفا بالمثبت والمنفى فأنت تقول له : شوقى شاعر لا كاتب إذا كان يعلم هاتين السفتين فى شوقى فيثبتهما معا أو ينفى احداهما أو يتردد فيهما ، أما إذا قلت له هذا القول وهو يجهل كل الجهل شاعرية شوقى وكتابته كان كلامك خلفاً من القول ، وبعيداً عن اعتبار البلغاء ، فاذا أردت أن تلاحظ هذه العلة النفسية ، وأن تؤكد له من بادىء الأمر رجعنا إلى جهة أخرى وهى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر ، ويقال حينئذ إن المتكلم نزل المخاطب الخالى الذهن منزلة المنكر أو المتردد أو العاكس ويرجع الأمر إلى قسم من هذه الأقسام الثلاثة ، والعلماء إنما يذكرون القاسم الأصلية ، أما الأمور المنزلة فيرجعونها إلى مشابهاتها ، ومعروف ذلك عند من درس فهم يجعلون أضرب الخبر ثلاثة ، ثم ينزلون المنكر منزلة غير المنكر ، وينزلون غير المنكر منزلة المنكر ، وهكذا . ولا يحق لنا أن نقول إن هذه أضرب أخرى للخبر ، على أن المثال الذى ذكره الأستاذ (لا اله الا الله) لخالى الذهن لا يصح مطلقاً أن نجعله من القصر الاضافى ، وانما القصر فيه حقيقى تحقيقى ، وهذه الأقسام الثلاثة كما هو معروف لاتتأتى فى القصر الحقيقى .

٤ — وهذا بحث جديد يريد أن يطالعنا به أستاذ الجامعة . العلماء قصروا فى أغراض القصر ، وحصروها فى النفى والاثبات وهو أمر يجب أن نؤاخذهم به « والذى نأخذه على صاحب الايضاح ومن لف لفه من البلاغيين أن شعورهم كان يجب أن يتسع حتى يشمل ماوراء القصر بانما من أنواع القصر ، فكان يجب أن يوسعوا حسهم اكثر من ذلك فليس القصر للاثبات والنفى بل هو للتضييق والتحديد » . « فلعله ثبت مما قلناه إن للقصر مرامى أخرى وراء المعنى النحوى أهملها البلاغيون » وهذه الأغراض التى ذكرها ومثل لها هى غرضان : التوهين ومثل له بقوله تعالى « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » والتأنيب ومثل له بقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم » قال : إذا نظرنا إلى قوله تعالى : ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وجدنا أن التعبير بكلمة رسول عنصر أساسى فى المعنى قصد به التوهين من شأن الرسول فى هذا المقام . محمد رده يطلع إليه ؟ مرسال زى بقية المراسيل بيجى ويروح . القصر هنا واضح فى أن المقصود به التوهين من أثر الرسول فى الدين ولذلك جاءت تسميته هنا برسول ولو قال نذير . هاد . سراج . لقطع الطريق على هذا الفرض » وقال : « ماقلت لهم . . الآية . هذا التأنيب المؤلم مستفاد من وراء الألفاظ ، وهو هنا المرمى البلاغى للقصر وبدل عليه » وقبل أن نرد على هذا الكلام التداعى نذكر ماقاله العلماء فى أغراض القصر حتى ننفى عنهم تهمة أنهم ضيقوا حسهم أو قصروا . قالوا من دواعى القصر (١) داعى القصر الحقيقى التحقيق بيان الواقع (٢) داعى القصر الادعائى المبالغة وعدم الاكتراث بما عدا المقصور عليه (٣) الرد على المخاطب فى قصر القلب وقصر الأفراد (٤) تعيين المبهم عند المخاطب فى قصر التعيين (٥) قد يقصد من القصر مجاراة الخصم (٦) التنبيه على أمر هو مقتضى الكلام والغرض منه وجعل القصر وسيلة اليه وذلك كثير فى انما (٧) تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لاعتبار مناسب فيخاطب باسلوب القصر [١] .

أما ردنا على ما ذكره من أغراض فواضح أنه ليس القصد فى الآيات الاولى الحط من مقام الرسالة فى الدين ، وهل يريد الله سبحانه وتعالى أن يقول إن محمدا ليس شيئاً ؟ ! لا . ياشيخ ! المسألة أن الله يقول لهم : لامعنى لتعلق الدين بمحمد فان الرسل قبله ماتوا وسيموت هو مثلهم ولا ينتهى الدين الذى يدعون اليه بانتهائهم لأن مهمتهم الرسالة والتبليغ ، والرسالة ولو أنها أمر له قيمته وخطره لكن لايجب أن يتعلق ايمان الناس بمدة حياة صاحبها فهو انما يدعو الى الله . ولعل مما يدل على ذلك أن العرب لم يفهموا أن القصد التوهين من شأن الرسالة ، وهذا أبو بكر يستشهد بها يوم وفاة الرسول ، فهل كان يريد أن يقول لهم : إن محمدا ليس شيئاً فى الدين ؟ مانظن ذلك ولا نرضى لسلم أن يظنه . وأما التأنيب فى الآية الثانية فليس مستفاداً من القصر وإنما هو مستفاد من السياق . استفهام تعجبى ، واتخاذ آلهة من دون الله ، وهو صادر عن النبى ، وهو المدعى عليه أنه دعاهم

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار ص ١٨٨

الأدب فى سير أعلامه :

ملتن . . .

للاستاذ محمود الخفيف

— ٣٤ —

الفردوس المفقود : موضوع القصيدة الكبرى : —

فى سنة ١٦٥٨ أخذ ملتن كما أسلفنا يتوفر على نظم قصيدته الكبرى ، ومن ثم تعد هذه السنة بدء هذا العمل العظيم وإن كانت أجزاء قليلة من القصيدة قد نظمت قبل ذلك كما يقول ابن أخته إدوارد فيلبس ، ولم تنته سنة ١٨٦٣ حتى فرغ الشاعر الضرير كما يقول إدوارد كذلك من هذه القصيدة العظيمة التى تبلغ زهاء خمسة آلاف وخمسمائة سطر ، والتى تستغرق نيفا وثلثمائة صفحة متوسطة الحجم ، والتى تعد من أعظم الآثار الأدبية فى أدب الدنيا قديمه وحديثه ، والتى يتبوأ بها ملتن مكانه بين أفذاذ شعراء الملاحم الثلاثة : هوميروس ودانتى وفرجيل إن لم يبزهم جميعاً فى أكثر من ناحية من القول كما يذكر كثير من النقدة الملحوظى المكانة فى نقد الأدب والشعر .

ويمكن تلخيص موضوع القصيدة فى كلمات قليلة ؛ فهى قصة إبليس بعد أن فسق عن أمر ربه ، فقد تمرد هذا الشيطان الأكبر ومن اتبعه من الغاوين واجترأ على محاربة خالقه فأخذهم الله أخذاً قويا فإذا بهم جميعاً فى جهنم جثيًّا ؛ ثم خلقت جنات عدن وخلق آدم وحواء ودلهما الله على الشجرة المحرمة ونهاهما ربهما أن يقربا هذه الشجرة ، فوسوس لهما الشيطان فأكلا منها وعصيا ربهما فأخرجهما من الجنة .

وحق للمرء أن يعجب كيف يخلق الشاعر من هذه القصة على بساطتها قصيدة بلغت هذا الذى بلغته من الطول ، وما فيها منظر أو فكرة مما يصح حذفه ، ثم ما فيها موضع تطرق اليه شيء من الضعف أو شيء مما يبعث السأم فى نفس القارىء ، بل إنها جميعاً تبلغ من السمو والقوة مدى يتخاذل دونه جهد المبدعين ويتقاصر عنه افتنان المفتنين فما يقع المرء فيها إلا على مايعجب ويطرب وما يشيع فى النفس نشوة روحية قوية تشعرها بسر العبقرية وسلطانها وتذرها مسحورة مأخوذة حتى ينقضى هذا الحلم الجميل .

ولكن دواعى العجب لاتلبث أن تزول إذا ذكر المرء مبلغ ما أوتى الشاعر من خصوبة الخيال وقوته ، ومارزق من دقة الوصف وروعته ، وما وهب من قدرة على الابتكار والتفنن فى خلق الصور الذهنية الأخاذة والتصرف فى مذاهب البيان ، هذا إلى مايشيعه فى قصته من فلسفة وعلم ، وما يدخله بين الفينة والفينة من أساطير الأغريق وآلهتهم وسائر مخلوقاتهم مما يملأ قصيدته بألوان من السحر وأفانين من كل مايفيد ويمتع .

والقصيدة ليست بنت هاتيك السنوات الخمس التى نظمها فيها ، وإنما هى منتجه خياله وأرب نفسه منذ أول عهده بالشباب ، فقد كان أمله الذى ملأ خياله منذ حداثته أن ينظم قصيدة تجعل له ولأمته مكانا عليا فى أدب هذه الدنيا ؛ وإلى ذلك أشار فى قصيدته التى ناجى فيها لغة قومه وهو فى سن التاسعة عشرة كما سلف أن ذكرنا ذلك فى موضعه ، وإن لم يك يبين موضوع تلك القصيدة بعد .

ولم يتعجل ملتن النظم ، بل أخذ يتهيأ لما يطمح إليه فينهل من المعرفة مايسعه أن ينهل ، وفى نفسه أمل يلازمه ولا يبرح يذكره أنه سوف ينظم فى يوم ما ملحمة كبرى تسلكه فى الخالدين النابهين من شعراء الدنيا ، أما ماذا تدور عليه الملحمة فذلك أمر لم يتبينه يومئذ وحسبه أن يطلب لنفسه ماوسعه من زاد فى الفلسفة والعلم .

وكان يفكر كما ذكرنا قبل فى الملك آرثر وعصره وبطولته وسيرته عله يستخرج من ذلك ملحمة قومية كان يريد أن

إلى عبادته وأمه « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ » هذا كثير ، ومدعاة إلى تأنيبهم ، أما القصر فلا يفيد التأنيب ، وهب عيسى عليه السلام لم يقل إلا جملة القصر أكان يستفاد منها التأنيب ؟ وبذلك تسقط دعواه أن التوهين والتأنيب غرضان من أغراض القصر ، ووقفنا عند الأغراض التى ذكرها المتقدمون ، ولا نزال فى انتظار الجديد .

على العمارى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

يسميها الآرثربادا ، وتقع إشارتان منه إلى ذلك إحداهما فى قصيدة أخرى نظمها عقب عودته إلى وطنه ؛ ولكنه مالبث أن طرح موضوع الملك آرثر جانباً ولم يعد إليه بعد ذلك .

وظل ملتن متعلقا بأمله فى نظم قصيدة كبرى ، وكان هذا التعلق المتصل بالأمل المنشود هو الفكرة المتسلطة فى حياته كلها من جميع أقطارها ولذلك لم يأل جهداً فى الافادة مما حوله فكان انقطاعه للدراسة فى هورتون ، وكانت رحلته إلى إيطاليا وكان منصبه فى الدولة وكانت كتاباته الدينية والسياسية ، كل أولئك كان جوانب لدراسته وموارد لثقافته قصد إلى ذلك أم لم يقصد إليه .

وانقطعت صلته بالشعر زهاء عشرين عاما إلا ما كان من مقطوعاته ، ولكن خيال القصيدة الكبرى لم يبارحه قط ، وليس أدل من ذلك على شدة إيمانه بأنه خلق لرسالة فى الشعر وعلى عظم إخلاصه لفنه ، ولقد رأينا ما أحاط به من المحن والكوارث فلم يصرفه ذلك عما خصص له حياته ، وإن واحدة منها لكفيلة بأن تقعد بالمرء عما يخف كثيراً عن ذلك الذى اضطلع به من عبء .

وربما كان خيراً له وللأدب أنه لم ينظم ملحمته الكبرى إلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره فلعلنا كنا لو نظمها فى صدر شبابه لانظفر منه بما ظفرنا به من آثار خبرته بالحياة والناس وطول باعه فى البيان وضلاعته فى المعرفة وانصقال فنه وما اكتسب شعره من فخولة وقوة . ولقد حال بينه وبين تحقيق أمله فى شبابه ورغبته كما رأينا فى الاستزادة من الثقافة استزادة تكافىء ما يطمع أن ينهض به من عمل ضخم فى دنيا الفن ، ثم حيرته فى اختيار الموضوع الذى تدور حوله قصيدته ، وجاءت بعد ذلك حربه على القساوسة ثم اشتغاله بالسياسة فأخرته على رغمه تلك السنوات الطويلة .

ولقدم قبل تلك الشواغل سنة ١٦٤١ بالنهوض بما منته نفسه به ، إذ أنه يتبين من قائمة كتبها الشاعر بين سنتى ١٦٤٠ ، ١٦٤٢ أنه فكر فيما يقرب من مائة موضوع ، وكان ثلثا هاتيك الموضوعات مقتبساً من الانجيل ، وكان همه متجها إلى واحد من بينها سماه تارة « الفردوس المفقود » وتارة « آدم يخرج من الجنة » فقد وجد فى هذه القائمة بيان بأسماء شخصيات لدراما يرسمها وبيان لما تكون عليه تلك الدراما وقد وضع لذلك عدة صور لعله كان يفاضل بينها ، ولا زالت تلك القائمة محفوظة كأثر من آثار الشاعر العظيم فى مكتبة كلية ترينتى بجامعة كمبردج .

ويتبين من ذلك أن ملتن كان يومئذ يريد أن يلبس موضوعه لباس الدراما لا الملحمة ، ويؤيد هذا الرأى ما ذكره فى هذا الصدد إدوارد فيلبس ، وذلك أن الأسطر التى يخاطب بها الشيطان الشمس فى أوائل الكتاب الرابع من الملحمة قد نظمت قبل بدء الشاعر فى نظم الملحمة بنحو خمسة عشر أو ستة عشر عاما وأنها نظمت لتكون فى مستهل عرض لمأساة .

ثم انصرف ملتن كما رأينا عن الشعر وانشغل عن أمنيته الكبرى حتى كانت سنة ١٦٥٨ فتوفر على موضوعه ، فلما أتمه كان ملحمة تضاف إلى الملاحم الكبرى فى أدب العالم وسميت الفردوس المفقود .

ونظمت الملحمة فى ستة أقسام أو ستة كتب ، ولقد أوجزنا موضوعها فى أول هذا الفصل فلنبسط هنا بعض البسط ، ولا نجد خيراً من أن نقص خلاصة هاتيك الكتب الستة التى تتألف منها القصة .

افتتح الشاعر الكتاب الأول بمناشدة إله الشعر أو إلاهاته[1] العون فيما هو بسبيله على عادة شعراء الملاحم عند بدء ملاحمهم ، ثم يعرض الشاعر الموضوع كله فيذكر أول عصيان للانسان وما يترتب عليه من إخراجه من الجنة حيث كان موطنه ، ويشير إلى غواية الشيطان ، ويذكر عصيانه وتمرده على خالقه واستطاعة ضم أكثر من قبيل من الملائكة إليه ، حتى طرده الله من الجنة ومن اتبعه وألقى بهم فى قرار من جهنم سحيق ؛ ثم يصف الشاعر كيف كان هذا الهبوط من الجنة حتى يرينا الشيطان ومن معه فى قرار الجحيم ، فى ظلمات بعضها فوق بعض ؛ ويظل هؤلاء على وجوههم وعلى جنوبهم فى هذا الماء زمناً يتقلبون فى بحيرة هائلة تتلظى بالحم واللهب وفى نفوسهم رهبة ودهشة مما أخذهم من صاعقة ، ثم يفيق الشيطان بعد لحظة من هذه

(١) Muse ، وكانت عند الاغريق تطلق على بنات زيوس التسع ملهمات الشعر والموسيقى ، وفى ملحمتى هوميروس كان يقصد بها إله الشعر الذى يوحى إلى الشعراء مالبس لهم به علم ؛ أما اليهود والمسيحيون فأحلوا روح القدس محل ذلك ، ويجمع ملتن بين الاثنين فبعد أن خاطب الموز عاد يخاطب روح القدس :

الغاشية فينادى أقرب أتباعه منه منزلة وأولهم بعده مكانة وهو يصلى النار الحامية إلى جواره ويتحاورون فيما أصابهم من هذا الهبوط ؛ ويتكلم الشيطان الأكبر فى الأباء والعناد والأصرار قائلا إنه لخير له أن يحكم فى النار من أن يخدم ويطيع فى الجنة ؛ ثم يدعو الشيطان أتباعه ولم يزالو مكبين فى النار على وجوههم فيهضون فيسوى صفوفهم ويعدهم للقتال ويختار من بينهم قادتهم وكبراءهم ثم يناديهم فيعدهم ويمنيهم باسترجاع مكانهم فى الجنة وينبئهم بدنيا جديدة تخلق ونوع جديد من المخلوقات يدب فيها وكل أولئك يجىء وفق نبوءة أو نبأ تراءى اليه وهو فى الجنة ولكى يعلم مبلغ ما تحقق من هذه النبوءة وماذا يكون موقفهم من هذه الدنيا يشير إلى مجلس ينتظمهم جميعاً حيث ينظرون ماذا يفعلون ! ثم يشير الشاعر إلى مأوى الشياطين أوقصر الشيطان الأكبر وقد استوى قائما منبعثاً من أعماق الماء وهناك يجلس كبار شياطين الجحيم ليوافيهم أتباعهم ليتشاوروا فيما بينهم كما أراد كبير الشياطين أجمعين ؛ وتتزاحم الشياطين على قصر رئيسهم وقد مدوا فى اللهب أجنحتهم وملأوا الجحيم حفيفاً بهـــذه الأجنحة الممتدة ، ثم يتساقطون جماعات جماعات حتى يضيق بهم القصر على سعته .

وفى الكتاب الثانى تبدأ المشاورة فيجلس الشيطان الأكبر على عرش هائل ويتحدث إلى أتباعه متسائلا هل هو خير لهم أن يشنوا معركة أخرى لاسترجاع الجنة التى أخرجوا منها ويدعو كل من يحسن الرأى أن يتكلم بما يرى .

ويتتابع عدد من الشياطين كل يدلى برأيه ويبسط حجته ، فكانوا فريقين ، فريق رأيه الحرب وآخر يخشى عاقبتها ولاينصح بها ، والشيطان الأكبر يوازن بين حجج كل فريق ولكنه لايقطع أمراً ، حتى ينبعث صوت يقترح مؤداه أن يدعوا الحرب إلى أمر آخر هو النظر فى مبلغ صحة تلك النبوءة أو الرواية التى علمت فى الجنة عن خلق دنيا جديدة ، ونوع آخر من المخلوقات يساوى الملائكة منزلة أو هو لا ينزل كثيراً عن مستواهم وهذا هو وقت خلقهم ، وتتجه أفئدة الجميع إلى هذا المقترح وسرعان ما يجتمعون عليه ، ولكنهم يحارون منذا يذهب فى تلك الرحلة العظيمة المسيرة فيستطلع لهم مايريدون ؛ ولا تطول حيرتهم فهذا كبيرهم يعلن أنه يذهب وحده فيأتيهم بنبأ يقين ، ويمجده الشياطين شاكرين له هاتفين به ؛ وينتفض عن شياطينه المجلس فيذهب كل إلى حيث يقضى الوقت ريثما يعود كبيرهم من رحلته

ويطير الشيطان الأكبر فيقطع فى رحلته أرجاء الجحيم حتى يأتى أبوابها فإذا هى مغلقة وعلى كل باب ثلاث طبقات من الحديد وثلاث من النحاس وثلاث من الحجر الصلد ، وتحرس هـذه الأبواب أنماط من الحرس هى فى أشكالها أليق ما تكون بحراسة أبواب الجحيم ، لا هى من الجن ولا من الوحش ولا من الأفاعى وإنما هى مزيج من هذا كله ركب بعضه فى بعض ، وهى أشباح للخوف والوباء والموت ، ويزجر الخوف الشيطان ويأمره أن يعود إلى مكانه فى النار ، ولكنه لن يزال يطلب أن يفتح له باب حتى يفتح له الموت باباً فيلج منه إلى خارج الجحيم فى عسر شديد ، ويرى مدى مابين الجنة وجهنم من أمد ، ومايزال الشيطان يسبح بأجنحته فى الماء فى عناء وعسر حتى يصبح بمرأى من الدنيا الجديدة فتقع عليها عيناه .

(يتبع) الخفيف

هل قرأت كتاب :

تطور الكتابة العربية

لمؤلفه الأستاذ السعيد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف ؟

إنه أول بحث من نوعه فى المكتبة العربية ، يستعرض أدوار الكتابة ، ويبين أسباب الخطأ فى القراءة ، والوسائل المساعدة لتحسينها وإجادتها ، ويقترح طريقة تيسيرها .

وإليك بعض بحوثه : أصل الخط العربى ، أسباب الخطأ فى القراءة ، الحالة النفسية للقارئ . العوامل المساعدة : اتخاذ قاموس موحد ، إصلاح الهجاء ، رسم المصحف الكريم ، فلسفة الخط ... الخ . مما كتب للخاصة والمثقفين ، ولم يكتب للعامة والجماهير ، فى لغة رائعة نقلت لغة العلم والبحث إلى لغة الفن والأدب .

ويطلب الكتاب من جميع المكاتب العامة بأنحاء الشرق ، أو من المؤلف بتخصص التدريس . كلية اللغة العربية . القاهرة . وثمن النسخة ١٠ قروش وللبريد قرشان وفى الأقطار الشقيقة عشرون قرشاً خالصة البريد

الأمير عبد القـــادر
وتحرير الجزائر

لمناسبة مضى ٦٥ سنة على وفاته

(مهداة إلى الأمير سعيد الجزائري)

للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد

المدره الأفيق[1] كبير زعماء الجزائر ، وموحد اتجاهها السياسي ، ومؤلف شتاتها ، الأمير العظيم ، العالم الشاعر الباسل عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني .

ولد بوهران سنة ١٢٢٣ هـ في مهد العلم والتقوى ، وتلقى علوم الشريعة والأدب والتاريخ والحكمة العقلية وغيرها ، حتى حذقها ، وتوفر على الثاقفة بالسلاح وركوب الخيل ، فجمع بين السيف والقلم ، واشتهر بالذكاء والفصاحة والطلاقة وسمو الفكر وقوة البدن وشدة البأس والإقدام وصلابة الرأي فيما يزمع والإخلاص وقوة الإيمان .

فعلقت به القلوب واتجهت إليه الأنظار ، كل ذلك مع ما كان لأبيه وأجداده من المكانة الرفيعة في البلاد .

رحل إلى المشرق حوالي سنة ١٢٤١ مع والده وجماعة من أهله وحاشيته بقصد الحج ، فمروا بمصر فأنزلهم محمد علي باشا منزلا كريماً ، ثم حجوا وزاروا المدينة المنورة والشام وبغداد ، فازداد عبد القادر بهذه الرحلة التي استغرقت أكثر من سنتين رسوخاً في العالم وخبرة بالسياسة .

وفي أواخر عام ١٨٣٠ م احتلت فرنسة عاصمة الجزائر ، وأخذت تفكر في الاستيلاء على سائر القطر الجزائري ، فبدأت الحرب بين أهل الجزائر والفرنسيين ، واقتحم أهل وهران الحرب بقيادة السيد محيي الدين ، فبدا في هذا القتال من بسالة عبد القادر ومواهبه الحربية وأصالة رأيه وثورة نفسه الإسلامية الحرة وإخلاصه لقضية أمته وبلاده وقوة إيمانه بصدق جهاده ما عقد به أمانى الناس .

ولما أراد أهالي تلك البلاد مبايعة السيد محيي الدين أميراً عليهم اعتذر بعلو سنه ، فبايعوا ولده عبد القادر عام ١٨٣٢ م فاتخذ مدينة المعسكر عاصمة ، ولم شعث القبائل ، وجمع الأمة كلها على معنى واحد لا يتغير ، ودفعها بروح دينية واحدة لا تختلف ، وجعل عرق الجهاد يفور كما يفور العرق المجروح بالدم ، وبث صولة الحياة في الشعب كله ، ورتب جنده وكان يتقدم جيشه ببسالة عجيبة ، وكأن بينه وبين أرواح جنده نسباً شابكا ، فله معنى أبوة الأب في أبنائه لا يراه من يراه منهم إلا أحس أنه شخصه الأكبر ، فكانت فيه التكملة الإنسانية لجنده ، وكأنه خلق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع ، وأن القوى الشديدة تعمل كالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها ، فالأمير قد عدى جنده بقوة شجاعته العجيبة .

ومن نظمه :

تسائلني أم البنين وإنها ... لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألا فاسألي جنس الفرنسيس تعلمي ... بأن منايام بسيفي وعسالي
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي ... وبي يحتمي جيشي وتمنع أبطالي

واستمر في الحرب حتى دانت له كل عمالة وهران تقريباً بعد محاصرته للجنرال بويه وجيشه . ثم تولى قيادة الجيش الفرنسي الجنرال ديميشيل ، فكانت بينه وبين الأمير معارك انتهت بعقد المعاهدة المشهورة (بمعاهدة ديميشيل عام ١٨٣٤) التي اعترفت بها فرنسة للأمير بجميع العمالة الوهرانية عدا مدينة وهران وآرزاو ومستغانم ، وكان له الحق بموجب هذه المعاهدة أن يعين قناصل في وهران والجزائر ومستغانم وغيرها ، وأن يستورد الأسلحة من أي جهة شاء ؛ فعظم شأن الأمير وامتد سلطانه وصار الأمير الشرعي لجميع أهالي الجهات الغربية من المغرب الأوسط . ثم مد رواق ملكه على البلاد التي لم تكن داخلة في حدوده مثل ميدية ومليانة ، وأقام فيها معامل للأسلحة ، مع احتجاج حاكم الجزائر العام .

---

(١) المدره كبير : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، والأفيق البالغ النهاية في الكرم أو في العلم أو في الفصاحة وجميع الفضائل .

وفي غضون ذلك ثار على الأمير قبيلتا الدوائر والزمالة وانضمتا إلى فرنسة ، فطلب الأمير تسليم رؤسائهم إليه فأبى الجنرال تريزيل ، فبرز عبد القادر إلى القتال فانتصر على الفرنسيين في (يوم المقطع) في ٢٦ يولية ١٨٣٥ فأرسلت فرنسة جيشاً كثيفاً بقيادة المارشال كلوزل فاستولى على عاصمته (المسكر) وناوشه من ورائه بقية من الأتراك كانوا في قلعة تلمسان ، وبعثت فرنسة الجنرال بوجو لإغاثة الجنرال دارلنج الذي حصره الأمير ، فانهزم عبد القادر ولكنه بقي ثابت العزم ، واستطاع بدهائه السياسي عقد صلح مع الفرنسيين على شروط ضمنت له أكثر مما ضمنته معاهدة دميشيل ، وذلك في (معاهدة التفنة) في ٣٠ مارس ١٨٣٧ التي اعترفت فرنسة له فيها بجميع عمالة وهران وقسم كبير من عمالة الجزائر .

وشرع بعد ذلك يقوي سلطته على البلاد التي أدخلت حديثاً تحت حكمه ، وأخضع عرب الأزارقة ، وأنشأ معامل للأسلحة والعدد الحربية وملابس الجند في تلمسان ولاغوات وميجانة وزيبان ، وبنى حصوناً لخزائن بيت المال ، وأقام على كل حصن بلدة ، منها تاقدت وتازة وسعيدة وبوغار وعريب وسبدو وغيرها

ثم رتب جيشاً منظماً على نمط جيوش الدول ، وقسمه إلى فرسان ومشاة سماهم العسكر المحمدي ، ومدفعية وسماهم الرماة ، واختار لتدريبه ضباطاً من الجيش التونسي ومن الجند التركي الذي بطرابلس ومن الفارين من الجيش الفرنسي ، ووضع لهذا الجيش قانوناً لمأكله وملبسه ورواتبه ومدة التعليم وشروط الترقي فيه ومنح الأوسمة ، ونظام المرابطة والحرب ، وضرب نقوداً سماها المحمدية ، وعني بشؤون الزراعة والتجارة والتعليم ، وأقام دهاليز لادخار الحبوب وأنابير للاقوات ورمم القلاع ، ولم يهمل شيئاً مما يجب لتأسيس الحكومات الشرعية . ولم تكن همته زمن السلم أضعف منها إبان الحرب .

ولما كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع الأقطار التي تود الاستيلاء عليها هي في الغالب منازل استعجام بين مراحل الحرب فقد تعللت فرنسة في تفسير بعض فقرات (معاهدة التفنة) وأرادت التخلص منها بعد أن أعدت العدد وعززت الجيش ، مع أن الأمير كان يعمل بها ، فاستؤنف القتال بينهما فزحف الماريشال فالي والدوق دومال ، فنادى الأمير بالجهاد في ٢٠ نوفمبر ١٨٣٩ فاستمرت الحرب من هذا التاريخ إلى عام ١٨٤٣ بلا انقطاع وقام فيها الأمير مقامه المحمود الذي طار ذكره في الآفاق ، وأثبت فيه عبد القادر للدنيا كلها أن الجزائر الجبارة متى شاءت بنت الرجال من أمثاله في العظمة والشهرة والمنزلة والقوة .

وعدم تكافؤ القوتين المتقابلتين سبب سقوط أكثر حصون الأمير واحتلال العدو أكثر معاقله ومدنه مثل تاغدت والمسكر وتازة ووادي الشليف ، فتحول إلى المغرب ، فزحف العدو إلى تلمسان ونواحي ندرومة واحتلها ، فقصد الأمير إلى الجنوب فباغته الدوق دومال وغنم كثيراً من عتاده ، ففت هذا الحادث في عضده وخذله أكثر أعوانه ففر إلى المغرب ، وسعى لحمل سلطان المغرب الأقصى على شد أزره فأمده بجيش فكانت بينه وبين الجيش الفرنسي (واقعة إيسلي) في ١٢ أغسطس ١٨٤٤ .

ولما كان المغاربة يعوزهم من أدوات القتال ما يملكه الفرنسيون انتصر الجنرال بوجو على الجيش المغربي ، وكانت بوارج فرنسة ضربت طنجة ومغادور ، فاضطر سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام إلى عقد الصلح بالشروط التي تريدها فرنسة وأولها منع الأمير عبد القادر من تجاوز حدود الجزائر ، فلبث زهاء سنتين متربصاً غرة من العدو ينتهزها ، فلما بدت له في ثورة عام ١٨٤٦ انقض على بلاد الجزائر ثانية وأمعن في الغارة حتى بلغ بلاد البربر ، واستأنف الأمر كما بدأ ، إلا أن قوته كانت قد تناقصت ، وقدم الفرنسيين قد رسخت في الجزائر فلم تستمر غارته ، وأحاطت به الجيوش من كل ناحية ، فرجع إلى الحدود المراكشية ، فطلبت فرنسة من سلطان المغرب تسليمه وما زالت تلح في ذلك حتى ناصرهم وساق عليه قوة عظيمة دهمته فإذا هو بين نارين ، فاشتد به الغضب ، فاشترط شروطا للاستسلام رضي بها الفرنسيون ، وسلم نفسه على يد الجنرال لاموريسيال في ديسمبر ١٨٤٧ واتفقوا على أن يسافر بأسرته من الجزائر إلى الأسكندرية أو عكا ، ولكن فرنسة أخذته إلى طولون ثم إلى إنبواز وأنزلته في قصرها معتقلا إلى عام ١٨٥٢ إذ بشره لويس نابليون بنفسه بإخلاء سبيله في يوم اهتزت له باريس احتفالا بمقدم الأمير .

أجل لم ينتصر البطل بعد جهاد ١٥ سنة جهاداً عزيز المثال في تاريخ الأبطال ، ولكن الأمم احتفت به لأنه يمثل كمالا من نوع آخر هو سر الانتصار .

ثم سافر الأمير إلى الآستانة وزار السلطان عبد المجيد ، ثم

أقام ببرصا ، وفى سنة ١٨٥٥ هاجر إلى دمشق ، ومر ببيروت فقام واليها وامق باشا بالحفاوة به . ثم بجبل لبنان فاحتفل به مشايخ الجبل وأمراؤه . فلما أشرف على دمشق خفت المدينة إلى استقبال مدره الإسلام ، وتقدم الجمع محمود نديم باشا والى دمشق ، وعزت باشا رئيس العسكرية ، والعلماء والأعيان ، ثم دخلوا المدينة تتقدمهم الجنود بموسيقاها ، ونزل ضيفاً بدار عزت باشا ، إلى أن اختاروا له دار القباقيبي التى كانت مقر الحكومة فحط رحله فيها .

وقضى بقية حياته بدمشق فى مثافنة العلماء ، والتحقيق العلمى ولا سيما التصوف . ومن أمتع آثاره العلمية المطبوعة (كتاب المواقف) الذى يدل على رسوخه فى التصوف علماً وعملا ، و(ذكرى العاقل) فى الحكمة والشريعة و (ديوان شعره)

وقد صرح مؤرخو الفرنج أن مملكته العلمية والدينية كانتا من أكبر أعوانه على تأسيس الحكومة التى أسسها ، وأنه كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه بالسنان .

وقال الماريشال سوليت الفرنسى فى سنة ١٨٤٠ (لا يوجد الآن أحد فى العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة رجال كلهم مسلمون وهم : الأمير عبد القادر ، ومحمد على باشا ، والشيخ شامل) .

ولما وقعت بدمشق حادثة سنة ١٨٦٠ عنى الأمير عبد القادر بحماية المسيحيين وإنقاذهم ورد الموادى عنهم ، فأخلى لهم دوره والدور المجاورة لها حتى هدأت الفتنة ، فأجمعت صحف العالم على حمده وشكره ، واستحق بهذا الصنيع ثناء الجميع ، فأرسل إليه الخليفة السلطان عبد المجيد وفرنسة وأمريكا وأكثر الدول الأوربية أوسمة وقيمة مع رسائل الشكر والحمد .

وفى عام ١٨٦٣ حج ثانية . ودعاه الخديو اسماعيل باشا فيمن دعا من أعيان العالم وملوكه وأمرائه لحضور الاحتفال بفتح قنال السويس .

وما زال مثالا للبر والإحسان والتقوى والأخلاق الكريمة يتهجد الليل ويمارس فى رمضان رياضة الخلوة على طريقة الصوفية ، إلى أن قبض رضى الله عنه سنة ١٣٠٠ هـ ودفن إلى جانب ضريح الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى بصالحية دمشق . وذاع نعيه فى الآفاق وأسف عليه الملوك والأمراء ومن عرفه من الخاصة والعامة ، ورثاه الكتاب والشعراء ، وأبنه العلماء والأدباء .

هذا موجز من سيرة الأمير الكبير ، وتاريخ حياته وأخبار نضاله مع الفرنسيين مبسوطة فى كثير من كتب المسلمين والفرنج . وللعالم الجليل السيد أحمد أخى الأمير تاريخ مفصل لحياة أخيه لم يطبع بعد ، فيه حقائق لا توجد فى « تحفة الزائر »

وأذكر بهذه المناسبة أن الشيخ شهاب الدين محموداً قال : عدت قاضى القضاة ابن خلكان فأنشدنى لبعض أهل الأدب شعراً فى نقيب الأشراف بالمدائن خلب عقلى ، وهو هذا :

قد قلت للرجل المولى غسله ... هلا أطاع وكنت فى نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما ... أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أوانى للحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفاً ألست تراهم بأزائه
لاتوه أعناق الرجال بحمله ... يكفى الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع فى نفسى أنه أحق الناس بهذا الرثاء وأنه نعى نفسه فمات فى ذلك الأسبوع ، وقال الصوفى اللائق السيد محيى الدين بن أخى الأمير عبد القادر : وأحق الناس بهذا الرثاء أستاذى العارف الربانى أمير العلماء وعالم الأمراء سيدى الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى .

محمد عبد الوهاب فايد

إدارة البلديات العامة — سيدنا

تطرح بلدية بورسعيد فى المزاد العام بيع مائة برميل صاج سعة البرميل ١٨٠ كيلو ملأى بزيت رجوع وقد تحددت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ لفتح العطاءات بديوان البلدية وتطلب الشروط والمواصفات من البلدية نظير ١٠٠ مليم للنسخة الواحدة خلاف أجرة البريد . ٦٣٧٥

ذكر بالنشرة الأولى لهذا الاعلان بالعدد الماضى سعة البرميل ١٨٠ كيلو والصواب ١٨٠ كيلو

أفلاطون الشاعر

ونظريته فى التقمص

للاستاذ جبريل خزام

نظم أفلاطون الشعر قبل أن يعرف الفلسفة وقبل ان يتصل بسقراط ، وله مسرحيات شعرية ولكنها ضاعت كلها ولم يصل إلينا شيء منها ... وليست تهمنا هنا هذه المسرحيات فى شيء ، ولكن الذى يجدر بنا أن نعرفه أنه كان شاعراً قبل أن يكون فيلسوفا ... ثم تعلم الفلسفة على يدى أقرا طيلوس العالم الطبيعى القديم الذى كان يعتقد بالتغير المستمر للأشياء ، ثم عرف سقراط وأعجب به ، ولم يلبث أن صار من تلاميذه المقربين .

وهجر أفلاطون الشعر لسببين : أولهما تحوله تحولا كليا إلى الفلسفة التى بهره بها أستاذه الكبير سقراط . وثانيهما أن سقراط كان لا يرضى عن الشعراء لاعتقاده أنهم يزيفون الحقيقة ويقلبون الحق باطلا والباطل حقاً . ولكن الذى لا ريب فيه أن أفلاطون وإن كان قد هجر الشعر إلى غير رجعة ، إلا أن تأثره الشعرى القديم كان عاملا كبيرا من العوامل التى أثرت فى فلسفته تأثيراً ملحوظاً ، فجاءت ممزوجة ببعض الخيال ، ويتجلى ذلك فى (فيدون) عند استعماله ألفاظاً شعرية فى حديثه من أمثال : يلوح لى أو يبدو لى أو إن ما أراه ... تلك التى دعت الكثيرين إلى الشك فى نظرية الخلود التى احتوتها هذه المحاورة المعروفة ، حتى قيل إن هذه النظرية محض اختلاق ، وإنها خيال شاعر أكثر منها فلسفة حكيم .

وأفلاطون يؤمن بأن التأثير الشعرى فى النفس سابق للتأثير العقلى . فنحن حين ننظر فى الوجود وفى الأشياء المحيطة بنا أو عندما نسمع رأيا من الآراء لا نعتبر فى حالة قبول تام مباشر لأننا لسنا كالإناء يصب منه الماء ، ولكن لنا إحساساتنا وعواطفنا التى نسبر بها غور الأشياء أولا قبل أن يستقبلها العقل ؛ فالعين تنفعل إذا وقعت عليها الأضواء والألوان ، وهى تضطرب بمشاعرها وإحساساتها . ثم يتدرج ذلك إلى الشعور العقلى والإحساس الذهنى ، فتدرك العين ماهية هذا الشيء الذى يسقط عليها ، ويستطيع جفناها أن ينفرجا تدريجياً .

ومنهجه فى الجدل دليل آخر على تفكيره الفلسفى الذى يخالطه الخيال الشعرى المتغلغل فى نفسه منذ صباه . ومنهجه هذا يتمثل فى دورين : جدل صاعد وفيه يصعد أفلاطون من المحسوسات إلى المعقولات ، كأن يفكر مثلا فى وجود الأشياء الطبيعية حتى ينتهى إلى الله الذى هو كائن معقول غير محسوس ، ثم جدل نازل وفيه يهبط الدرجات من عالم المعقولات إلى عالم المحسوسات ليرى هل هى بعينها تلك التى صادفها فى صعوده . فأفلاطون يصعد أولا إلى المعقولات غير المستجدة ، وينحدر من عالم المحسوس ليصل إلى نقطة نهائية وهى إثبات وجود الخالق ، ثم هو يبدأ فى النزول من خالق مضطراً له اضطراراً ، مكرهاً عليه إكراها لكى يتأكد من صحة الخطوات التى صعدها ، ليعلم بصواب ما ذهب إليه فى تفكيره .

وهذا المنهج الجدلى يختلف تمام الاختلاف عن منهج سقراط ، فسقراط يطلب من محدثه أن يحدد له الألفاظ التى يستخدمها فى حديثه وله فى طريقته خطوتان هما : التهكم والتوليد ، ففى الأولى يوجه إلى محدثه أسئلة يطالبه بالإجابة عنها حتى إذا اعترف المحدث بعجزه عن الإجابة عنها وقصوره عن إدراك الحقيقة كاملة خطا سقراط خطوته الثانية فيشرح له — عن طريق الأسئلة التوضيحية — رأيه الخاص فى الموضوع الفلسفى الذى كان موضوع المناقشة .

وهذه الطريقة العملية البحتة فى الجدل ، تختلف تماما عن طريقة أفلاطون الصاعدة والنازلة والتى ينزع فيها إلى المعقول ثم إلى المحسوس . زد على ذلك أن سقراط كان جدله بينه وبين الناس ... أما أفلاطون فكان جدله يجرى بينه وبين نفسه ، وهذا ما أسماه بمناقشة النفس نفسها أى التفكير المنفرد الذى هو أشبه بالمناجاة الشعرية الفلسفية منه بالتفكير الفلسفى المحض .

وقد قسم أفلاطون العلوم إلى : حساب وهندسة وموسيقى ، وقد رتبها هذا الترتيب لأن كل علم لاحق يعتمد على العلوم السابقة له ، ثم يزيد عليها . فالهندسة تعتمد على الحساب وكذلك الفلك ، كما أن الموسيقى تعتمد عليها جميعاً .

وقد ذهب إلى أن هذه العلوم تظهرنا على أن فينا قوة ترتفع عن الإحساس المادى وهى العقل . وأفلاطون فى جميع فلسفته يحاول أن يسمو على الإحساس المقيد إلى التفكير العقلى المطلق ؛ ثم هو لا يقف عند هذه الدرجة ، بل يقول بأن العقل فى جميع مراحله السابقة لا يقنع ، ذلك أن العلوم فى هذه المرحلة القاصرة

تستخدم مبادئ أعلى منها ولا تبرهن على وجودها ، مثال قولنا إن هذا الشيء أصغر من ذاك أو أكبر منه أو مساو له . ويخرج أفلاطون بهذا إلى العلوم والمعارف الإنسانية ، فالعدالة والظلم والقبح والجمال والصغر والكبر والمساواة معان كلية عامة لا نستطيع أن نقول إنها موضوع علم بعينه كالحساب أو الهندسة. ولكنها دائرة أوسع وأكثر شمولا للمعرفة العقلية من هذه العلوم . ويخرج أفلاطون من ذلك كله إلى أن الإحساس وحده لا يكفي لإقامة العلم ، ويستدل عليه بأن الحيوان يعتمد على إحساسه المادي ولكنه لا يصل إلى مرتبة المعرفة العلمية .

ويتساءل أفلاطون عن كيفية حصولنا على هذه المعاني الكلية فيقول : إنا لم نحصل عليها عن طريق التجربة ، لأن هذه المعاني هي نفسها التي ساعدتنا على فهم التجربة ، فلا يبقى لنا إلا أن نقول إنها في النفس منذ الميلاد ، وما الميلاد عند هذا الفيلسوف الشاعر ؟ إنه نزول النفس إلى الجسم بعد أن كانت في عالم الأرواح ، أو نزولها من العالم المعقول إلى العالم المحسوس . وهذا ألهمه إياه خياله الشعري القديم . فهو يعتقد أن النفوس الإنسانية وجدت أول الأمر أرواحا هائمة في عالم الأرواح غير متصلة بمادة ما ، وأدركت في ذلك العالم الأمور الروحية ومنها المعاني التي ذكرناها والتي أطلق عليها اسم المُثُل . فلما هبطت هذه النفوس إلى الأجسام المادية وسكنتها اعتراها نسيان لاتصالها بهذه المادة الكثيفة ، فبقيت كأنها لا تعرف شيئا حتى تنبهت بإدراك الحواس . وكلما أدركت شيئا ما من حياتها الأرضية كان هذا تذكرا لما حدث مثاله في حياتها الروحية السابقة ، وهذا هو أصل العلم عند أفلاطون . والنفس الإنسانية في رأيه قد تعود إلى هذا العالم أكثر من مرة ما دامت لم تتطهر من التعلق بالأشياء المادية المحسوسة ، وفي رجوعها قد تتقمص جسما حيوانيا كما قد تتقمص جسما بشريا . وهذا ما يعرف بالتقمص أو التناسخ

والواقع أن أفلاطون قد مزج فلسفته بالخيال فجاءت مزاجا عجيباً مُعجباً في آن واحد ... عجيباً لأن الشعر والفلسفة متناقضان على خط واحد ، فهذا ينشد الخيال في السماء ، وتلك غالباً ما تبحث عن الحقيقة في الأرض ؛ ومعجباً كذلك لأن فلسفته هذه المزوجة بالخيال جعلت أسلوبه الجدلي أقرب إلى الفلسفة الأدبية الشائقة منه إلى الفلسفة العلمية الجافة .

جبريل عزام

النزعات الاستقلالية
في الخلافة العباسية

للأستاذ
عبد الفتاح الشرنجاوي
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية أصول الدين

يبين عوامل الخلل والانتقاص في المناحي السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية ويزين بكثير من الرسومات والخرائط .

يقع في ٣٤٨ صفحة والثمن ثلاثون قرشاً
وللبريد خمسة قروش
الناشر
دار الكتب الأهلية
بميدان الأوبرا ت ٤٩٥٦١

مصلحة الآثار المصرية

مناقصة عن بناء سور لمعبد اسنا

تقدم العطاءات إلى مدير عام مصلحة الآثار المصرية بالقاهرة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم السبت الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٦ عن بناء الجانب الشرقي من سور معبد اسنا الأثري .

ويمكن الحصول على شروط العطاء والرسومات وكافة البيانات من المصلحة المذكورة يوميا من الساعة التاسعة صباحا إلى الواحدة بعد الظهر في مقابل دفع ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة . ٦٣٨٨

غرام الكهولة ...

للأستاذ عثمان حامى

قلت للنفس حين لجّ هواك ... أنتِ إياكِ والهوى إياكِ
جدّبي العمرُ فاهدأي واطمئني ... وكفاني مما مضى وكفاكِ
واجعلي ما أصبتُ في الغيّ يا نفـ ... ـس ختاماً فانّ فيه هُداكِ
وقفةٌ تلك بين عقلي وقلبي ... يا لنفسي ما بين هذا العراكِ
ثم يا لي أرجو السلامةَ في عمـ ... ـري هذا من قائدي للهلاكِ
عاصف من هواكِ يعصفُ بالقلـ ... ـب ومات يسوقني في هواكِ
وعنيد لا أستطيع خلاصاً ... منه مما يحوك لي من شباكِ
يا لَقلبٍ خلا من الحب دهراً ... ثم صادفتِ خالياً فاصطفاكِ
فأطاع الهوى فلا هو يسلو ... كِ على ضعفه ولا ينساكِ
وأطعتُ الغرام فيك برغمي ... ولو أني في الحق لستُ فتاكِ
لا أذود الغرامَ بالعزم إلا ... خانني العزمُ فيك حين لقاكِ
فتبسمتُ بالرضى وتبسمـ ... ـت وشمّتْ لي بالرضى مقلتاكِ
غمرَ العُطفُ منك من كان يخشا ... كِ وشجّعتِه فما يخشاكِ
فاستعرتُ الشبابَ من بعد أن ولـ ... ـى شبابي لرغبتي في رضاكِ
وتجمّلتُ في خريف حياتي ... ومشى بي الهوى على الأشواكِ
وكأني أصبحتُ غيري في الدنـ ... ـيا وأضحيتُ غير هذا الشاكي
كيف أشكو النوى وأنتِ أماني ... لم يعكر صفاء عيشي نواكِ
ولقد أتقي لأجلك في القر ... ب فضولَ العيون فيما عساكِ
فأداري العيونَ حتى كأنّ القـ ... ـلبَ خالٍ أو أنه ما حواكِ
وإذا ما التقتْ بعينكِ عيني ... خالَ من خالَ أنني لا أراكِ
وأنادي على سواكِ فما أنـ ... ـطقُ إمّا ناديتُ باسم سواكِ
فكأني عقدتُ باسمك يا « زيـ ... ـن » لساني فما له من فكاكِ
أنتِ في مقلتيّ أنيّ توجهـ ... ـتُ أماني وأين كنتِ أراكِ
صورةٌ منك لا تفارقُ عيني ... كل حسنٍ لها إذا غبتِ حاكِ
لستُ أدري ما ذا يخبيء لي الغيـ ... ـبُ وما ذا يطوي لمثلي هواكِ
فلقد حرتُ بعد عمري هذا ... كيف لا أستطيعُ أنْ أنساكِ

من « لزوميات مخيمر »(*)

للأستاذ أحمد مخيمر

[إلى أصدقائي الشعراء : عبد الرحمن الخميسي ، وعبد العليم عيسى ، والعلائي . .]

غنوة ...

سألتكِ هل تدرين أنكِ غنوةٌ ... تغنّت بها الآزالُ ، فالتفت الدهر
وعشتِ زماناً في ذَراها صغيرةً ... ومهدكِ ينمو حوله العشب والزهرُ
وقد كان مثواكِ المغاورُ والربا ... وملعبكِ الغاب المظلل ، والنهرُ
فلم تعلمي إذ ذاكِ أنكِ رغبةٌ ... وأشواق روح في جوانحها بهرُ
وأنّ الليالي أسرعت بكِ دونها ... فكم صرعت شهراً ليتبعه شهرُ
فمن أجلكِ انسابت على الأفق شمسها
ورفّتْ على الظلماء أنجمها الزهرُ ...

منارة الحب ...

خبّ بنا يا ليلَ ركبُ الهوى ... في جسدٍ من شوقه ناحلِ
لغايةٍ لم يدر ما سرها ... من لم يكنْ يا ليلَ بالراحل
منارةٌ أنتِ لسيّ الهوى ... أقامها الشوق على الساحل
كأنما في خلدي نورها ... غمامةٌ في بلدٍ قاحل ...

لقيا ...

سروري بلقياك سلوانيهْ ... فلا تبعدي الخطو يا غانيهْ
لئن صح ما زعم الزاعمون ... فويلٌ لأيامنا الفانيهْ
ويا أسفا إن طوتكِ المنونْ ... فرجتِ ، ويا طول أحزانيه
سيخرس بعدكِ هذا اللسان ، ... وتُطبَقُ بعدكِ أجفانيه
فما أبتغي نعمةً لا تدوم ، ... وما أشتهي لذةً فانيهْ
وكيف ؟ وهذا المحيا الجميل ... وقد رقّ مبعث إيمانيه
أرى في سناه الوجود الرحيب ... وأكشف أعماق وجدانيه

(*) عنوان ديوان يصدر قريبا

على هامش النثر :

كتب الأستاذ على الجارى فى عدد الرسالة الماضى يسألنى رأيى فى الآيات :

« انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظلٍّ ذى ثلاثِ شُعب ، لا ظليلٍ ولا يُغنى من اللهب . إنها ترمى بشررٍ كالقصر ، كأنه جِمالةٌ صُفر » .

فهو يرى أن حكمى على بيتى شوقى عن قصر أنس الوجود :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى ... ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا ... سابحات به وأبدين بضـــا

بأنهما يكشفان عن تزوير فى الشعور ، لأنهما يبعثان شعورين متناقضين فى النفس ، ويدلان على أن الشاعر لم يحس بالموقف الذى يصوره إحساساً صادقاً ... الخ

وأوقن أن رحاب السماء ... إذا ما دنا أصبحت دانيه
ويبعث بى فرحـــة بالبقاء ... تبدّد شكّى وأشجانيه
فيا قبسَ الخلد لا تبعدى ... فأنتِ على الأرض سلوانيه
ظمئتُ لينبوع تلك الشفاء ... فهاتى لى القبـــلة الثانية
كأنى بها قطرة من ندى ... ترفّ على وردة قانيـــه
إذا نلتهـا خلتُ أنى إله ... أصرّف بالعزم أكوانيـــه
ويا ملكا غادياً بالحنان ... تمرّدَ فى الصدر شيطانيه
أنازعه جاهداً أن يقرّ ... ويستمرئ الدهر عصيانيه
تعالىْ إلى روضتى فى الخيال ... فأسقيك من ماء غدرانيه
وأطعمكِ الثمـــر المشتهى ... تدلّى بأطراف أغصانيه
نما ، وحلا ، وغدا فى النعو ... ن يرتقب الأيدى الجانيه
تخاليته فى حواف الظلال ... كواكب مشرقةً دانيه
ويا فرحاً فى ضمير الزمان ... بدا بعـــد لأى فأغرانيه
وكنتُ ذكرتُ شقاء الوجود ... فلما بدا لىَ أنسانيـــه
وزين لى كل شىء أراه ، ... وجمّل بالنـــور أزمانيه
وأقسم بالحب رحب الفضاء ... فقد خلته مهجة حانيـــه
لأمسٍ أنرتِ ظلام الحياة ... فأبصرت الأعين الرانيه
وجلّيت لى خطرات الوجود ... وما كنّ قبلكِ من شانيه

يرى أن حكمى هذا يصطدم بهذه الآيات القرآنية .

ويقول فى تعليل هذا :

« فالجو العام للآيات هو تهديد وإنذار وتخويف ، يقذف باللهب ، ويرمى بالشرر ؛ ولكن التشبيه لايبعث فى النفس إلا الطمأنينة والهدوء والظل الأبيض الناصع . نعم إن منظر الجمال الصفر متتابعة مختلطة متحركة فى تموج واضطراب هو هو منظر الشرر ، ولكن هذا المنظر لايبعث فى النفس ، ولاسيما نفس العربى إلا المسرة والبهجة والخير والجمال ، فالجمل أليف إلى نفسه حبيب إليها ، وهو حين يكون أصفر يزيد فى إعجابه وبهجته. الخ »

وهذا المشهد من مشاهد القيامة قد تحدثت عنه بتوسع فى كتاب « مشاهد القيامة فى القرآن » ، وهو فى المطبعة الآن . فأكتفى هنا بكلمة قصيرة إلى أن يظهر الكتاب !

ولست أرى وجهاً هنا للبس ولا للموازنة بين البيتين والآيات ؛ فإن مشهداً يصور جهنم ، وقد انبعث منها الدخان الكثيف المتشعب كأنه الظل ، ولكن « لا ظليل ولا يغنى من اللهب » ! وهى لضخامتها وهولها ترمى بالشرر كل واحدة منها فى حجم القصْرة — أى الشجرة الغليظة — أو فى حجم الجمل ... وهى تقذف بها فى عنف وشدة « ترمى بشرر كالقصر » لا متتابعة فى هينة وهدوء كما يريد الأستاذ أن يصور المشهد

وإن مشهداً مفزّعاً كهذا المشهد ، لا يدع للحس فرصة ولا فسحة ، يتملى فيها على هينة وانئاد ، وراحة بال واطمئنان خاطر ... منظر الجمال المتتابعة فى رتابة وجمال ، ومتتابعة مختلطة متحركة فى تموج واضطراب » فكل هذا لا أثر له هنا .

وقد استقلت لفظتا « القصر » ـ جمع قصرة ـ و « جمالة » جمع جمل ـ استقلتا بتصوير الضخامة ـ وهى المقصودة أولا فى المشهد ـ واستقلت كلمة « ترمى » بتصوير العنف ـ وهى المقصود ثانياً فى المشهد ـ ثم جاءت كلمة « صفر » لتعطى لهذا المشهد مجرد اللون ، ولتتم الصورة بحجمها وحركتها ولونها على طريقة التصوير فى القرآن .

ولو أراد مجرد الضخامة واللون دون العنف لقال مثلا : ترسل بشرر ولم يقل « ترمى بشرر » ، فكلمة « ترمى » تجىء هنا لتكمل خاصة معينة للصورة

واللون الأصفر فى مثل هذا المجال لايشيع فى المشهد ما أراد الأستاذ أن يشيع من الوضاءة والهدوء والصفاء !

وأنا أعيذ الأستاذ أن يقف لحظة أمام هذا المشهد الوضئ ! ولو - لا قدر الله - شهده ، ووقف حياله وقفة المهدد به ، لما أغنى اللون الأصفر فتيلا فى تخفيف هوله ، ولما وجد فى خاطره نسمة لتملى وضاءته ! فى ظل ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولايغنى من اللهب ، وهى ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر . إنها هنا صفرة النار التى ترمى بالشرر لا صفرة الظل الأبيض الناصع الذى يمتع النظر !

سيد قطب

تأبين المرحوم الأستاذ طه الراوى :

ستقوم دار المعلمين العالية ببغداد بالاتفاق مع وزارة المعارف العراقية ولجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية بحفلة تأبينية كبرى للمرحوم الأستاذ طه الراوى أستاذ الأدب العربى بدار المعلمين العالية ببغداد سابقاً ، وذلك فى ذكرى وفاته الستينية فى اليوم العشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ . وقد تشكلت لجنة لتنظيم هذا الاحتفال برئاسة عميد دار المعلمين العالية وعضوية الأساتذة : محمد هاشم عطية ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ، والدكتور عبد العزيز الدورى ، الأساتذة فى المعهد . وقد رأت اللجنة الاتصال بكافة الهيئات والمؤسسات والشخصيات التى لها صلة وثيقة بالمرحوم لتساهم فى الحفلة التأبينية : فنرجو ممن له هذه الصلة ويرغب فى المساهمة فى الحفلة المنوه عنها أن يتفضل بإرسال كلمته إلى الملحق الثقافى بالمفوضية الملكية العراقية فى القاهرة (٧ شارع محمد مظهر باشا بالزمالك) ليقوم بدوره بإرسالها إلى لجنة التأبين

إلى السيد وارث السوار رقم ٢ :

لم تأمريفنى بالاعتذار ياسيدتى ؟ أبهذا الأسلوب - أسلوب الأمر - تسوق الأديبة طلبها ؟ ممّ أعتذر ؟ لم أجن ذنبا ولا جريرة أستحق عليهما اللوم والتثريب . إننى لم أسىء إلى قلم الأستاذ الطنطاوى فى كثير ولا قليل . وأشهد الله على ما فى نفسى أنى أحمل له كل توقير وتبجيل ، ولو كنت غصت إلى أغوار مقالتى لأدركت الرأى الذى أبديه ، والقصد الذى أبتغيه

وما كان لى أن أستتر تحت اسم مستعار من تلقاء نفسى . ولكن المقام اضطرنى إلى هذا على غير رغبة منى . وإن كنت تخشين أن يحاسبك الناس فى حاضرهم حسابا عسيرا على مستقبلك فإنى والله لا أخشى إلا الذى برأنى وسوّانى . وإن تلك النفخة التى تخافين منها على أديبك الناشىء ، فلله الحمد ليس لى حتى كتابة هذه السطور شىء أرتاع لمرآه إن طيّره نفخ النافخين ، أو أتت عليه أقلام الكاتبين . وعلى كل حال إن المستقبل بيد الله

إن مقالتك لم تبعث فى نفسى وحشة ولا يأسا ، وإنما زادتنى أنسا بالأدب والأدباء . لو كان فى مقالى شىء من التجريح لما احتاج الأمر إلى دفاعك ، ولهب الأستاذ من فوره يسوق إلى النقاش ، وهو الأديب الأريب الذى له - ولإملائه كتاب الرسالة - مكان الثريا فى سماء الأدب .

وما دخل التشاؤم فى موضوعنا ؟ إن من سعادة الحياة أن أنظر إليها من خلال منظار التفاؤل ، ومن حسن الطالع أن حباني ربى صديقات هن مبعث فرحتى ومصدر مسرتى .

دعى هذا يا سيدتى ، وتعالى لتشاهدى ضربا من الحياة جديدا . هل سمعت أو رأيت الأصم الأبكم كيف يتكلم ؟ إن تلاميذى وتلميذاتى من هذه الشرذمة البائسة التى قضى عليها بفقدان السمع والنطق . وها نحن أولاء أخواتك ذوات الأساور نخفف بلواهم ، ونسعى إلى تحقيق مُناهم ، حتى تربطهم بالحياة وشائج يستطيعون معها مسايرة المجتمع .

لعلك اقتنعت بوجهة نظرى بما سقته إليك فى هذه العجالة ، ولست أختم حديثى بالإسم المستعار الذى استترته لنفسك ، لأنى فى الواقع ممن لا يألفن التحلى بالسوار . وهأنذى أكشف لك عن حقيقتى كما أحب أن تكشفى لى عن حقيقتك ، وإلا ذهبت بى الظنون مذاهب شتى . وعسى أن يكون اصطفاق قلمينا فاتحة صداقة كنت أنت البادئة بها . ومما يشرفنى ويعلى قدرى أن نبرم سويا عهد هذه الصداقة تحت ظلال دوحة الرسالة الغراء التى لها الشكر أولا وآخرا ، إذ أفسحت وما تزال تفسح لنا فى رحابها مكانا لنشر أحاديثنا ، والسلام ما ؟

بريدة محمد نسيج الله

مدرسة معهد الصم والبكم - بعطرية القاهرة

حواء الخالدة :

قصة مسرحية ألفها الأستاذ محمود تيمور بك ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية بدار الأوبرا الملكية

وبطلا القصة عنترة بن شداد العبسي وصاحبته عبلة ، وليست القصة كما رووها أو زعموها كتب التاريخ والقصص القديمة محيطة بطليها بتهاويل البطولة والحب ، وإنما اتخذ المؤلف من زمانها ومكانها وأشخاصها ، جوا جديداً ، ومادة جديدة ، لعمل فني جديد ، قوامه التحليل وعرض العواطف والميول الإنسانية على طبيعتها .

فعبلة امرأة تزهى بحب الرجل إياها ، وتتخذه لعبتها ، فتشتط في مطالبها ، ولا تبالي أن تدفعه إلى الأهوال ، وتحمله على ترك الديار وتجشم الأسفار ، لتحقيق رغباتها التي يمليها مجرد العبث واللهو .

وعنترة رجل شجاع محب ، ذو بأس وذو قلب ، يبطش بالفوارس ، وترتد عن صفاته الأسنة ، ولكن تنفذ إليه سهام الأنوثة ويفعل به سحرها ، فينصاع لعبلته ، ويسعى في إجابة مطالبها غير مكترث بما في طريقها من المشاق والمصاعب ؛ وترمى به الحبيبة المدلة في سفر بعيد يمتد به الزمن ، ثم يؤوب كمن صحا قلبه فعلا وأقصر باطله ، ولكن لا يلبث أن يتسلل نشيد الحب إلى مكمنه في فؤاده ، فيعود به إلى مغانيه ، ويظل يروض تلك القطة المزهوة الشرسة حتى ينالها ...

وواضح من سياق القصة أن المؤلف أراد أن يصور المرأة في إدلالها وزهوها وتحكمها وتحايلها وأفانينها في اللعب بالرجل — تصويراً أريد أن أقول إنه (كاريكاتوري) مستعيرا له هذه التسمية من ذلك التصوير الذي يقوم على المبالغة في إبراز الخصائص ، وعلى هذا يمكن أن تحمل تلك المواطن التي بدت فيها عبلة على خلاف ما يجري به العادة في واقع الحياة ، كدؤوبها على العبث واللهو بعد ما قيل من موت عنترة ، وكفتورها في استقباله بعد غيبته الطويلة على رغم حبها له .

ولكن ما بال عنترة يستقبل منافسه في خطبة عبلة بالترحيب والتكريم حيث كانت تقتضي طبيعة الموقف وطبيعة الفارس البدوي أن يلقاه بسيفه ؟ حدث ذلك عند ما جاء هذا المنافس بعد إحضاره النياق المصفورية التي طلبتها منه عبلة ، فوجد عندها عنترة ، وكان عنترة أيضا قد عاد من سفره الطويل الذي دفعته إليه لجلب حجر الزمرد الذي اشترطته ليتم زواجها ، ورآه بعد أن يأتي لها به وبعد ما تجشم في سبيله يستقبل خاطبها الآخر ويهنئهما ... وقد يقال إن أحداث السفر قد غيرته وجعلته يسلو ، ولكن ماذا يبرر ذلك الموقف الغريب حينما بُعث حبه ، وعاد في هواه سيرته الأولى ، واستحر العناق بينه وبين عبلة ، وفاجأها منافسه ، وإذا عنترة الفارس الذي استعاد صبابته يسلم إلى هذا المنافس حبيبته التي أفلتت من بين ذارعيه ، ويخاطبه كالمعتذر ... ويغادرها ذاهباً إلى شأنه . ؟

وهنا نقول إن المؤلف آثر المرأة بعنايته ، إذ كان يهدف إلى إبراز خصائصها بذلك التصوير (الكاريكاتوري) ولكنه أهمل الرجل فصوره ذلك التصوير العجيب ، ولم يدر أمره على سنن الواقع ومقتضيات الطبيعة ، ولم يبد لنا من هذا الصنيع هدف يبرره

وقد كانت هذه الرواية على مسرح الأوبرا محل الإخراج الفني البارع المتقن ، وعرس اللغة العربية في جلوتها ورنين جرسها على ألسنة الممثلات اللائي أثبتن أنها لغة رقيقة ... رقيقة ...

وهي مدعاة إلى استخذاء مؤلفي التمثيليات باللغة العامية الذين صدعوا رءوسنا بهرائهم ، ووجموا قلوبنا بادعاءاتهم التي لا تدل إلا على العجز المبين

ومن العجيب أنهم يمثلون بالعربية الروايات المترجمة ، ويؤلفون بالعامية التمثيليات المصرية ، كأن العربية في البيئة الغربية أبين منها في البيئة المصرية ! وأعجب العجب تمثيل قصص باللغة العامية وقعت في العصور العربية من جاهلية وأموية وعباسية ! وما تزال أغانيها العامية تتردد على الألسنة كسلامة القس مثلا ! فإلى متى يظل هذا التهريج الفني ؟ ومتى يرتفع الفن بالأذواق الساذجة بدلا من تملقها والانحدار إليها ؟

وأخيراً ، نسوق الحديث إلى محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، لعل عربية (حواء الخالدة) تقنعها باصطناع اللغة الفصيحة في إذاعة التمثيليات القصيرة التي أكثرت أخيراً من إذاعتها بالعامية ، وأهملت الفصحى في هذا المجال كل الإهمال فيما عدا المترجم الذي تقدم العجب من الاقتصار عليه في التمثيل بالعربية .

عباس حسن خضر

كتب قرأتها :

يقظة العرب

تأليف المرحوم جورج أنطونيوس

ترجمة الأستاذ على حيدر الركابي

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

يقول مؤلف هذا الكتاب المرحوم جورج أنطونيوس فى مقدمته إنه « لا يرمى إلى تدوين التاريخ النهائى لليقظة العربية ... بل إلى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة » هذه الحركة التى مهدت تربتها ، وبذرت بذورها ، ونبت نبتها ، ونضج حبها ، وتم حصدها فى خلال نصف قرن ، لا بأفاعيل طافرة ، أو وثبات غير متزنات ، بل بعزيمة جبارة ، ومثابرة عنيدة ، مستمدتين من إرادة أمة موحدة لها فى بطون التاريخ فصول كتبها أجداد عباقرة أسمعوا الدنيا نداءهم ، ولقنوا العالم تعاليمهم ، وما هؤلاء الأحفاد سوى جيل وبعض جيل من أبناء الشام أيقظتهم حركة الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ فاستنهضتهم فنهضوا إلى العمل فعملوا دائبين ملبين غريزة الجد فى طبيعتهم ، وقد دفعوا كل ثمن وبذلوا كل ما يستطاع بذله ، وجادوا بأقصى غايات الجود ، ونالوا نصيب المجاهد المؤمن ، وفازوا بتحقيق أمانيهم واستقلال بلادهم وحريتها ولم يكن ما قربوه من أرواح وأموال فى سبيل الوطن بالثمن الفادح الباهظ

تكاد تكون سطور هذا الكتاب بأبوابها وفصولها ووقائعه بأحداثها وتقلباتها وعظاته بمغامراتها وأهوالها . أقول : تكاد تكون وقائع « أنا » بالذات ، وما أوفر عدد من يقول « أنا » فى كتاب يقظة العرب ، إذ ما من فتى فى بلاد الشام سمع نداء الحرية يهدر كالسيل العرم متدفقاً من حناجر الآباء للاستقلال والحرية إلا تيقظ روحه لها وتلفح وعيه بجوهرها ، وسار على منوال أبيه فى اتباع أعمال الرجال الرسناء لنيلهما ، وقد نالها بفضل إخلاصه لوطنه وقوميته وفنائه فى أمته

مؤلف كتاب « يقظة العرب » عالم بحاثة بفطرته ، لا يؤخذ بالظواهر فيعود إلى البواطن ، ولا تجذبه الفروع فى الشجرة ، ولا الجذور المطمورة فى التربة ، بل يرضيه أن يفتش عن مصادر غذاء تلك الجذور وأنواعها ليعلم الدواعى الباعثة على تلك التغذية والغاية المرومة منها .

نعلم « كلنا » أبناء هذا الجيل أن العامل الأكبر فى يقظتنا يعود كما قلت إلى عام ١٩٠٨ وعندنا على هذا العلم شبه أدلة استوحيناها من استقراء عقلية آبائنا ومن مبلغ وعيهم القومى وإحساسهم بالوطنية العربية ، ولكن المؤلف البحاثة قد عاد بنا إلى البذور الأولى ، إلى الفواصل بين الدعوة إلى العروبة والدعوة إلى الإسلام والصلة الروحية بينهما ، ثم إلى الفتح العثمانى .

للحكم العثمانى آثار واضحة المعالم فى نفوس العرب ، لم يكتف المؤلف بتقصيها فى عهد السلطان عبد الحميد ، وهى جامعة للأسباب شاملة للنتائج التى قلبت الأوضاع العربية ، من مطالبته بالإصلاح فى ظل الحكم العثمانى ، إلى العمل سراً على الانفصال عن الترك ، إلى العوامل التى دفعت بجماعة « الاتحاد والترقى » الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الطاغية ليقيموا أنفسهم طغاة مثله ، فكانت هى نفسها عوامل فعالة دفعت الأمة العربية إلى عمل إيجابى وهو بناء دولة عربية لحماً ودماً . أقول : لم يكتف المؤلف بهذا ، بل عاد بنا القهقرى إلى عهد محمد على وفتوح الشام على يده ، وشروعه فى تشييد مملكة عربية ، واختلاف ابنه ابراهيم معه فى الرأى ، لأن الأول كان فى طبيعته خلافاً للممالك ، بينما كان الثانى يعمل على الاحتفاظ بتلك الممالك ، وإن الأول كان يرى أن العرب ليسوا أهلا لحكم أنفسهم ، بينما كان الثانى يعتقد عكس رأى أبيه ، ولم ينس المؤلف موقف الإنجليز من محمد على وصدهم إياه عن تأليف المملكة العربية ، وقد خلص من هذا البيان المقتضب إلى ذكر تأليف جمعية أدبية فى بيروت قبل مستهل هذا القرن ، كان النصارى هم القائمين بها ، فما لبثت أن دخلها المسلمون والدروز ، ويقول إنها كانت البذرة الأولى لنهضة الفكر العربى

ويسهب فى وصف الإرساليات ونشرها المعارف ، وتزاحم أقطابها وتنافسهم فى تعليم أبناء البلاد علومهم ، وكيف لم تكن تعاليمهم خيراً محضاً ، وكيف تولدت الطائفية عند أبناء البلاد من جراء هاتيك التعاليم المتضاربة الأسباب والغايات . يمضى المؤلف البارع فى سبيله يتتبع سير الحوادث ، وقد اطردت بانتظام حتى انقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ فيذكر مجئ الشريف عبد الله إلى مصر وتحدثه إلى كتشنر والعروض التى تقدمت للانتقاض على الحكم التركى ومخاوف الإنجليز من عواقب إعلان الترك للجهاد الدينى وقيام هؤلاء فعلا بإعلانه ، ونشر الراية المحمدية ، ووقوف سورية على مفترق الطرق توازن بين الوقوف إلى جانب الأتراك ، وبين شد عضد الشريف حسين المتحفز للثورة

يعرج المؤلف على ذكر العهود التى قطعتها بريطانيا العظمى للشريف حسين ورسائل مكماهون ، فنرى الثورة العربية تعلن فى مكة وتندلع نارها وتمتد حتى تدخل قواتها مدينة دمشق ويحتل رجالها البلاد السورية ، ونقرأ فى فصل الكتاب الثالث عهود الحلفاء المتناقضة ونرى مبلغ تكالبهم على اقتسام غنائم الدولة التركية وتنافسهم فى اغتصاب البلاد العربية واتفاق سيكس بيكو ورسالة بلفور إلى الملك حسين ومفاوضات لويد جورج للصهيونيين ووعد بلفور لليهود ، ثم التصريح البريطانى الفرنسى . ولعل أمتع ما فى هذا الفصل خيانة بريطانيا للعهد ومؤتمر القاهرة وأعمال لورنس والانتدابات على العراق ولبنان وسورية ، وقيام الثورات متعاقبة فى سورية ، ثم يأتى دور عقدة فلسطين ، وحق العرب ، وادعاء اليهود ، وهى العقدة الباقية تنتظر الحل العادل

وددت لو يتسع المجال فأقف برهة ليست بالقصيرة حيال بعض رسوم خطوط هذا السفر الجليل أضم بعض حلقات مفقودة لهذه السلسلة المحكمة العقد ، وأزعم أن لو اتصل المرحوم جورج أنطونيوس مؤلف هذا الكتاب بالكثيرين ممن ألجأهم المرض ، أو السن ، أو الضرورات ، إلى التخلف عن ركب الجهاد ، أو بالذين خلوا الطريق للمتقدمين الطامحين ، أو النهازة المتفرصين ، لكان استوفى أكثر بحوثه وشارف بها على الكمال

اضطلع بترجمة هذا السفر النفيس حضرة الأستاذ على حيدر الركابى فحق له الشكر الطيب والثناء العاطر يسديه إليه كل عربى بعد إذ يسر لأبناء العربية مراجعة سجل حياتهم وقد سلكوا فيها مسالك بناة الملك .

أبو زيد الهلالى

تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لهذا الإسم بريق ولمعان ، وماض مجيد ، وحاضر خافت زاكد ، ولكن هذا الحاضر مع خفوته وركوده لم يذهب ببهاء هذا الإسم ، ونضارته ، وما له فى نفوس العامة من أفراد الشعب من التجلة والاحترام . فيكاد يعرفه العامة أكثر مما يعرفه الخاصة — وأعنى بالمعرفة وفرة المعلومات وكثرتها ، لا واقعيتها وحقيقتها — فهو متصل بنفوسهم وحياتهم اتصالا وثيقاً ... يسمعون عن بطولته فى المقاهى والأندية الشعبية ، ما يلهب حماستهم ، ويشعل قلوبهم وأفئدتهم شجاعة وإقداماً ، ويقدم لهم لونا من الخيال الحبيب ، يرضيهم ويطربهم ، ولا يرتضون بغيره بديلا . . !!

وإذا كان من لوازم الأدب التأثير فى النفس ، فإن هذه القصة ، بلغت درجة لم تبلغها قصة غيرها على كثرة ما كان ينشر ويذاع بين هذه الطبقات ... إذ ظلت حديث المجتمع المصرى ثمانية قرون ، وظل شاعر الربابة يحدث بها الناس من العهد الفاطمى إلى اليوم ، بيد أن شعر القصة اليوم أصبح شبحاً ماثلا ولوناً حائلا يتلاشى صوته فى ضجيج العصر ، وجلجلة المذياع .

وليس من السهل تناول هذا الموضوع ، فلا يزال حظ الهلالية فى التاريخ قليل ، وأدباؤنا لا يعنون العناية اللائقة بهذا القصص الشعبى ، بل تركوه فى أيدى الوارقين — من الذين لا يعنيهم إلا جمع القرش — يتناولونه بالتحريف والتصحيف . حتى أصبح من العسير الوصول إلى الحقائق الناصعة ، والنتائج السليمة التى ترضى الباحث ويطمئن إليها الخاصة ، ولا يرتابون فيما يقرءون . . ووبل للموضوع يفقد ثقة الخاصة ، ولا ينال تقديرهم واحترامهم ... !!

وبنو هلال وسليم من بطون مضر الكثيرة المتعددة ، الذين كانوا يعيشون قبل الإسلام عيشة البداوة والخشونة . ثم

دخلوا حظيرة الإسلام ، وحملوا رايته ، ورفعوا لواءه ، أيام بنى أمية فى الشام ، وبنى العباس فى العراق ، ثم بنى أمية فى الأندلس

ولأمر ما نزحوا من نجد ، وجاءوا إلى مصر ، فأسكنهم الخليفة الفاطمى سميد مصر ، بيد أنهم لم يستتم لهم أمر ، فعاثوا فى الأرض فساداً ، وأصبحوا خطراً على الدولة ، فرمى بهم المستنصرُ ملكَ صنهاجة والقيروان المعز بن باديس ، وذلك لانحرافه عن مذهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة ، وفى ذلك كتب اليازورى وزير المستنصر الفاطمى إلى المعز بن باديس يقول :

« أما بعد ، فقد أنفذنا إليكم خيولا خفولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا ... » !!

وبذلك ضرب المستنصر عصفورين بحجر واحد ، وهنا تتجلى بطولة هؤلاء الأعراب ، وفروسيتهم التى عمل فيها الخيال الطليق ، ما كاد يخرجها من عالم الحقيقة إلى عالم الخرافات والأوهام ...

ومهما يكن من شىء فقد تناول صديق وزميلى الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف هذا الموضوع فى سلسلة « إقرأ » ، وهو أديب ناقد ، تخرج فى مدرسة « الرسالة » الغراء ، وكان له فيها جولات ، وقد رزقه الله قلماً يعرف كيف يصل به إلى نفوس القارئين . فلا عجب إذا لم المتفرّق ، وجمع الشتيت ، جمع الناقد الفاحص ، واتخذ من هذا كله مادته فى هذا الموضوع ، فخلق منه بحثاً قيما مفيداً ، يجدر بكل أديب أن يمتع نفسه به فترة من الزمن ، ليجد ألواناً من الفكر المتزن . فيها جدة ، وفيها جرأة ، وفيها طرافة ولذة ...

ولصديق فهمى عذره فى ترداد اسم ابن خلدون كثيراً ، فهو يكاد يكون المؤرخ العربى الوحيد ، الذى عنى بالكتابة عن الهلاليين ، كتابة فيها مقنع إلى حدٍّ ما ... وعسى أن تتاح الفرصة لصديق فهمى ، فيجلو بعض ما فى الكتاب من غموض يسير ، ويوضح بعض ما فيه من إجمال ، أعتقد أن ضيق المقام ، وتقيده بعدد الصفحات هو الذى اضطره إلى ذلك . والكتاب بعد هذا تحفة أدبية لا غنى عنها لأديب .

كتب من مراكش :

عصر المنصور الموحدى

تأليف الأستاذ محمد الرشيد ملين

للأستاذ عبد الكريم غلاب

وهذا كتاب آخر نقدمه إلى قراء مجلة الرسالة الغراء أصدرته المطبعة المراكشية حديثاً لمؤلف شاب استهل إنتاجه العلمى بهذا الكتاب الذى يقول عنه إنه حلقة من سلسلة « العصور الذهبية المغربية » التى اعتزم إصدارها

وقد كتب المؤلف كتابه عن شخصية وعصر . فصاحب الترجمة هو المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ، شخصية فذة فى تاريخ مراكش ، استطاع الكاتب أن يجعل من تاريخ حياته عصراً يتميز فى خططه السياسية والحربية ويتميز فى حياته العلمية والفكرية ، وبذلك أصبح عصره هذا جديراً بالدراسة والتأليف .

وقد وصل المنصور إلى الخلافة عقب وفاة والده يوسف بن عبد المؤمن عند رجوعه من حرب البرتغال ، فتحمل المنصور الأمانة وهو شاب لا تقوى ساعداه على تحمل المسؤولية ، وكانت أمانة الملك ثقيلة بأعبائها التى تركها له والده : كان البرتغاليون والأسبانيون يغيرون على أطراف المملكة الإسلامية فى الأندلس ، وكان على الموحدين أن يردوا هذا الاعتداء بصفتهم الحارس الأمين على دولة الإسلام فى تلك البقاع . وكان ابن غانية — وهو الذى بقى من نسل المرابطين — يريد أن يرجع دولتهم ، فبدأ بمحاربة الموحدين فى جزر البليار ، ثم انتقل إلى الجزائر وتونس ، محاولا أن يكون دولة مرابطية جديدة ، وأن يقضى على دولة الموحدين . وكان هناك بعض أعمامه واخوته ينقمون عليه أنه تولى الخلافة وهو أصغرهم ، ويرجعون ذلك إلى المصادفة التى جعلته يحضر الغزوة التى توفى فيها أبوه متأثراً بجراحه

كان على المنصور أن يواجه هذه الأعباء بلباقة وحزم ، حتى يستطيع أن يحتفظ بامبراطوريته الواسعة ، التي تمتد إلى الأندلس شمالا . ثم إلى شمال أفريقيا ، بما في ذلك طرابلس وبرقة غرباً . ولذلك كانت حياته سلسلة من المعارك الطاحنة التي اشترك فيها الجيش والأسطول ، فقد غزا الأندلس عدة مرات ، وكانت أشهر معركة خاضها هي معركة الأرك سنة ٥٩١ هـ ، تلك المعركة التي تذكرنا بمعركة الزلاقة في عهد يوسف بن تاشفين ، فقد انهزم حماة النصرانية في الأندلس في كلتا المعركتين واستتبت سيطرة المراكشيين على الأراضي الإسلامية هناك

أما علي بن غانية ، فقد كان خصما عنيداً لم يكن من السهل القضاء عليه ، وخاصة بعد ما استولى على بجاية في الجزائر ، وأخذ من رجال الصحراء جيشاً قوياً ليحمي به مملكته الجديدة ، ويعيد بها مجد أجداده المرابطين ، ويقضي على مملكة المنصور . ولكن المنصور تعجل الأمر فبعث إليه جيشاً مكوناً من عشرين ألف مقاتل أردفه بأسطول ضخم تحت قيادة أحد العقلي أمهر القواد البحريين في ذلك العصر . ولم يفد ابن غانية التجاؤه إلى الصحراء ثم فراره أخيراً إلى تونس ، فقد تتبعه المنصور في معركة أخرى كان من نتائجها أن استولى على كل هذه البلاد ، وقضى على خصمه الألد ، بل قضى على أتباع قراقوش الذين كانوا يساعدونه. وبذلك خضعت الأمبراطورية كلها لرئيسها الأعلى المنصور الموحدي

أما العقبات التي أثارها أعمامه واخوته الذين تأخروا عن مبايعته ، أو أرادوا أن يثوروا عليه أثناء مرضه ، فقد عالجها المنصور بلباقة وحزم ، جعلت أعمامه يخضعون ، وجعلته يتمكن من أخيه الذي حاول الثورة ويقضي عليه بسهولة

ذلك هو الجانب السياسي والحربي من حياة المنصور ؛ بيد أن هناك ناحية أخرى في حياته لا تقل روعة عن هذا النجاح الحربي ، تلك هي ناحية العلم والإصلاح . فقد كان المنصور عالماً يعقد المجالس للعلماء ليساجلهم فيما يعرضون من أفكار وآراء ، وقد كان من أبرز علماء هذه المجالس ابن رشد الفيلسوف وابن زهر الطبيب . وكان إلى جانب ذلك أديباً وشاعراً ، كما كان فقيهاً ومحدثاً . وبذلك اصطبغ عصره بالصبغة العلمية التي جعلته من أزهى عصور التاريخ المراكشي . ونزعة المنصور الإصلاحية واضحة التأثير في العصر الذي نتحدث عنه ، فقد وجه جهوده إلى القضاء على كل أسباب الفوضى الإدارية والقضائية والاجتماعية ، كما وجه همته إلى محاربة الأمية : فجعل التعليم إجبارياً للذكور والإناث ، ويكفي أن نقول إنه حارب فكرة عصمة المهدي (مؤسس الدولة الموحدية) ، وهي التي قامت على أساسها هذه الدولة

ذلك موجز لكتاب « عصر المنصور الموحدي » ، وقد وفق المؤلف في عرضه لهذين الجانبين من عصر المنصور ، فكان ترتيب الفصول طبيعياً ومتسلسلا ، وخاصة في الناحية السياسية. وبذلك توفر في الكتاب نوع من التنظيم قل أن نجده في كتب التاريخ . أما أسلوب الكتاب ، فهو سلس وفيه بريق ولا يخلو من مسحة شعرية . ومما يتصل بذلك أن المؤلف لا يكثر من سرد النصوص التاريخية ، ولكنه يكتفي بعرض الحوادث في أسلوبه الخاص مشيراً إلى المصدر في أمانة وإخلاص

غير أن لي بعض الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب : منها أن كتابة التاريخ لم تعد سرداً للحوادث ولا تلخيصاً لما كتبه القدماء ، ولكنها أصبحت فناً يقوم على شيء من التفكير وشيء من الفلسفة . ورب حادثة بسيطة لا تسترعي الانتباه تقوم عليها حياة العصر ، ولو وقف عندها المؤرخ قليلا ووهبها شيئاً من نفسه وتفكيره لشرحت له دقائقه وأسراره . ولكنا لم نجد في كتاب عصر المنصور أي مجهود من هذا القبيل ، ومن أمثلة ذلك أن المنصور تحول عن عقائد الموحدين وآرائهم التي قامت على أساسها دولتهم ، وأنه وقف من ابن رشد موقفاً غريباً ، فقد كان راضياً عنه مقرباً له ، ثم غضب عليه ، ثم عاد فاستدعاه إليه وقربه . يعرض المؤلف هاتين الحادثتين كما رواهما المؤرخون ، ولكن لماذا حصل كل ذلك؟ وكيف؟ لا تجد في الكتاب تبريراً لذلك

ومن الملاحظات الهامة أن دولة الموحدين قامت على عقائد معينة أتى بها المهدي بن تومرت وأقام الدولة على أساسها عبد المؤمن جد المنصور . وقد كان حرياً بالمؤلف أن يعقد فصلا لهذه الأفكار

عدد « الرسالة » الممتاز

سيصدر بعون الله عدد « الرسالة » الممتاز في الأسبوع الأول من شهر يناير سنة ١٩٤٧

والعقائد التي قامت عليها الدولة

ومما يؤخذ على المؤلف أنه يسبق الحوادث أحياناً فيدلي بالنتائج قبل أن يسرد الوقائع التاريخية .

وقد قلت من قبل إن الكتاب نظم تنظيما دقيقاً ، ولكن المؤلف يعرض أحياناً لبعض الإصلاحات الإدارية والعمرانية والاجتماعية والقضائية ضمن ما كتبه عن الحياة السياسية . فقد كان حرياً به أن يعقد فصلا مستقلا لما قام به المنصور من إصلاحات

وكنت أحب أن لا أعرض لما وقع فيه المؤلف من أخطاء إملائية ونحوية ولغوية ، ولكن الأخطاء كثرت بحيث لا تكاد تخلو منها صحيفة من صحائف الكتاب ولعل في ذلك أيضاً ما يغنيني عن ضرب الأمثلة . ويجب أن أنبه إلى أن مثل هذه الأخطاء تنقص من قيمة الكتاب، وتشوه من جمال أسلوبه

ولست في حاجة إلى القول بأن هذه الملاحظات لا تغض من قيمة الكتاب العلمية ، وحسبي أن أهنئ المؤلف على مجهوده ، وأن أرجو له التوفيق فيما سيصدره من كتب عن العصور الذهبية المراكشية .

النجاح الكبير للرواية الفكاهية المصرية

عفـــريت مراتى

وضعها ويمثل الدور الأول فيها سليمان نجيب بك

إخراج الأستاذ زكى طليمات

كل ليلة بدار الاوبرا الملكية

مع كبار ممثلى وممثلات

الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى

فؤاد شفيق — زوزو الحكيم — احسان شريف

روحيه خالد — على رشدى — فيفى يرسوم

ابتداء من يوم ١٦ الجارى :

الموت يأخذ أجازة

وزارة المعارف العمومية

منطقة وسط الدلتا الجنوبية

بشبين الكوم

تعلن منطقة وسط الدلتا الجنوبية التعليمية بشبين الكوم حاجتها إلى كتبة ومحضرين للمدارس الزراعية بالشروط الآتية : —

١ — أن يكون المرشح حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان أو القسم الخاص أو دبلوم التجارة المتوسطة للوظائف الكتابية وشهادة دبلوم الزراعة المتوسطة لوظيفة المحضر

٢ — أن يكون مصرى الجنسية لا يزيد سنه عن ٣٠ سنة ولا يقل عن ١٨ سنة .

٣ — أن يكون لائقا فى الكشف الطبى أمام القومسيون الطبى العام .

٤ — أن يكون مستوفيا جميع مسوغات التعيين .

٥ — أن يكون التعيين فى الدرجة الثامنة الادارية بأول مربوطها .

٦ — أن يجتاز امتحان المسابقة وسيكون فى الانشاء العربى وفى الترجمة لاحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية وفى الكتابة على الآلة الكاتبة للوظائف الكتابية .

٧ — امتحان المحضرين يكون للحاصلين على دبلوم الزراعة المتوسطة فى صيانة الاجهزة وتحضيرها .

فعلى راغبى الالتحاق بهذه الوظائف تقديم طلب استخدام على الاستمارة ١٦٧ ع . ح مصحوبة بالمؤهل الدراسى أو ما يثبت الحصول عليه وشهادة الميلاد وصورتين شمسيتين مقاس ٦ × ٩ فى ميعاد غايته الخميس ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وسيخطر كل متقدم عن موعد امتحان المسابقة فيما بعد ٦٤٢٧

ظهرت حديثاً :

الطبعة الجديدة من كتاب :

فى أصول الأدب

الأستاذ

احمد حسن الزيات

فى ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

يطلب من دار الرسالة

ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً

عدا أجرة البريد

إذا أردت نموذجا

من الميزان الدقيق ، والتحليل العميق ، والرأى

الثاقب ، والنقد الصائب ، والدليل الذى

يرشدك إلى قيم أشهر الكتب

وأقدار أشهر الكتاب فاقرأ

كتب وشخصيات

للأستاذ الناقد سيد قطب

فهو خير ما صدر فى هذه الفترة الأخيرة

من كتب التحليل والنقد

يقع فى ٣٥٢ صفحة من القطع المتوسط

ويباع فى دار الرسالة

وفى سائر المكتبات الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها

بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات

يتشرف المدير العام للسكك الحديدية باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندات الوجه القبلى واللوكاندات الاخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول ديسمبر سنة ١٩٤٦ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٧ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الاقامة فى اللوكاندات يومين وليلة أو ٥ أيام و ٤ ليال أو ٧ أيام و ٦ ليال أو ١٠ أيام و ٩ ليال أو ١٥ يوماً و ١٤ ليلة حسب الأثمان الموضحة بالتعريفة الموجودة بالمحطات وشركة عربات النوم والشركات المعتمدة لصرف هذه التذاكر على أن يكون لحامل التذكرة المشتركة الحق فى امتداد مدة إقامته فى اللوكاندات ١٥ يوما و ١٤ ليلة أخرى خلاف المدة السابق ذكرها بنفس الأجور المخفضة بالاتفاق بينه وبين اللوكاندات مباشرة عن هذه المدة الاضافية دون الرجوع إلى شركات السياحة أو المصلحة ولزيادة الأيضاح يستعلم من المحطات .